فاكهة الكلمات

روائيات على السجادة الحمراء

حقوق التأليف والطبع محفوظة، ولا يجوز إعادة طبع هذا
الكتاب او أي جزء منه او استنساخه او تخزينه، على أية
هيئة او بأية وسيلة، إلا بإذن كتابي من المؤلف.

الطبعة الاولى 2013
الطبعة الثانية 2021

تصميم الغلاف: صلاح محمد

مطابع دار الأديب
عمان – الأردن
هاتف : 4888585 فاكس : 4888584
E-mail: info@label-world.com
info@adibbooks.com
www.adibbooks.com

كرم نعمة

فاكهة الكلمات

روائيات على السجادة الحمراء

AD/B
BOOKS
2021

المحتويات

مقدمة 7

هيلاري مانتل رأت الشيطان فكتبت صالة الذئب 9

مادلين ميلر توقظ هوميروس 21

روز تريمين تتوق إلى الحلم والكرامات المهدورة 31

جانيت وينترسون تفك أسر الكلمات من مؤامرة الصمت 41

آن انرايت تحذّر قراءها من صراحتها الجنسية 51

أليسون كينيدي... فرجينيا وولف معاصرة 63

ليونيل شريفر... روائية تهشم الأمومة 73

زادي سميث اكتشفت صوتها في الكلمات 87

كائي ريتشس: أبطال رواياتي يصفون أشياء رأيتها وشممت رائحتها 97

جي لي يانج تؤرخ لسيرة الصين في سيرتها 107

مقدمة

عندما صدرت الطبعة الأولى قبل سنوات، لم تكن أي من أعمال روائيات هذا الكتاب قد تُرجمت إلى اللغة العربية، باستثناء رواية «فتاة الوشاح الأحمر» التي ختمت متن الكتاب.

واليوم، وبعد نفاذ الطبعة الأولى، يبدو القارئ العربي أقرب الى مشهد رفوف كتب تحفل بها أعمال روائيات يغيرن النظرة السائدة للكتابة بكونها مقتصرة على مشاهير الرجال.

فعندما قدمت عشر روائيات بوصفهن فاكهة كلمات معبرة مرت على السجادة الحمراء لأرفع الجوائز الأدبية في الغرب، كنت أهدف الى تقريب شيء من الصورة المهمة للقارئ العربي، وكان التجاوب حينها يبعث على الغبطة حقا.

كانت جائزة المرأة للرواية آنذاك مثار جدل مستمر في الصحافة البريطانية، الامر الذي دفع الشركة الداعمة لها الى الانسحاب لاحقا وتغيير اسمها من جائزة اورانج للرواية الى جائزة المرأة للرواية، لكنها صمدت في النهاية ولازالت تقدم لنا سنويا مجموعة لامعة من الروائيات، فيما تدخل روائيات أخر القوائم النهائية لجوائز بوكر وكوستا بثقة معبرة عن قيمة الكتابة، وليس أي شي آخر متعلق بالمرأة نفسها.

وبعد ترجمة أهم أعمال روائيات هذا الكتاب الى اللغة العربية، والاهتمام الذي لقيه الكتاب في طبعته الأولى، نقدم الطبعة الثانية بتعديلات بسيطة لإعادة التذكير بأن النص الروائي الذي تكتبه المرأة يكتفي بأهميته معبرا عن نفسه، وسط رفوف كتب يستحوذ عليها الرجال.

المؤلف

هيلاري مانتل رأت الشيطان فكتبت صالة الذئب

جائزة بوكر لامرأة، لكنها ليست أية امرأة! هيلاري مانتل رأت الشيطان عندما كان عمرها سبع سنوات، نعم رأته كيف يصارع الريح ويتوجه بمحاذاة منزل أسرتها، وترددت عشرين عاما قبل أن تكتب روايتها "صالة الذئب " لتنال بها المجد الأدبي في منتصف عمرها الافتراضي والأدبي، وبعدها بعامين خطفت الجائزة نفسها عن روايتها "ارفعوا الجثث" ثم نالت عليها جائزة "كوستا" الأدبية.

ويمكن وصف مظهرها في قاعة استقبال لجنة أرفع الجوائز البريطانية الأدبية قبل ليلة من حفل التتويج الذي أغدق عليها بالمال "ليس فقط ثمن الجائزة 80 ألف دولار أميركي، بل بما ستدر عليها مبيعات الكتاب من أموال وشهرة مقبلة".

وصف مظهرها أشبه بامرأة قادمة من تاريخ الألوان والعطر، تجلس مع زوجها الجيولوجي جيرالد، تحتفظ بفرحها للساعات المقبلة.

إنها سعيدة بطريقة جعلتها تطير، هكذا وصفت الفوز بجائزة بوكر مثل تصادم قطارين، فيما هي تحلق جذلى في الهواء!

واعتبرت أن منحها هذه الجائزة نابع عن "إيمان وثقة" بها، قائلة "أعلم كم أنا محظوظة لأنني أقف هنا الليلة. والآن عليّ أن أفعل أمرا صعبا جدا، عليّ أن أذهب وأكتب الجزء الثالث من السلسلة. وأؤكد لكم أنني لا أتوقع أن أقف هنا مجددا".

بعد أن رأت الشيطان في الجزء الأول من سلسلتها الروائية في "صالة الذئب " هاهي تعيد ما يشبه سيرتها في رواية "ارفعوا الجثث" تعود إلى العام 1535 وتستعيد حياة زوجة الملك هنري الثامن الثانية، آن بولين، التي تعجز عن منحه ابنا. لتتتبع المصير الدموي الذي انتهت إليه.

وتتناول رواية "صالة الذئب" عبر 650 صفحة من القطع الكبير، ما يشبه السيرة التاريخية المفعمة بالعذاب والتعذيب والدسائس والإهانات السياسية والدبلوماسية البدائية في حياة السياسي الإنكليزي توماس كروميل.

تبدأ الرواية بكروميل كضحية لوالده العنيف ثم تسرد قصته عندما يتولى خدمة الكردينال وولسي، ويتقلد مناصب مختلفة حتى يصبح أبرز مساعدي الملك هنري الثامن، ويساعد الملك في محاولاته للانفصال عن البابوية في روما. كما يسعى لتنفيذ أجندته الخاصة ضد إرادة ملكه.

وتصف الرواية كروميل الذي هرب من أسرته عندما كان عمره 15 عاماً، لكنه في الوقت نفسه لايعرف تاريخ ميلاده، بطريقة استالينية فاسدة كشخص عديم الرحمة، ومناور، وطموح في حياته السياسية العامة كما هو في حياته الخاصة.

يصل كروميل إلى إنكلترا في عمر الأربعين رجل موثوق به، حياته تشكلت من حزمة من الخبرات في فرنسا وايطاليا وهولندا، تسرد هيلاري كل ذلك بطريقة "فلاش باك" هنا وهناك لنتعرف عليه: كان جنديا، وهو تاجر ومحاسب لبنك فلورنسا، تعلم كيف يقدر ثمن اللوحات الإيطالية، يتقن العديد من اللغات، ذكي ومقاتل على نحو لاعب سيرك، لكن النهوض الذاتي ليس الدافع الوحيد عند كروميل. يشمئز من الخرافات التي يواجهها، ويأخذ وجهة نظر مادية بالانغماس في الحياة. يتصرف بعقلية الإقطاعي من النبلاء، في الوقت الذي يسخر فيه من أصله المتواضع.

كل ذلك دفع الصحفي جيمس نوتي رئيس لجنة تحكيم جائزة بوكر إلى القول "اختيرت رواية مانتل استنادا إلى عظمة الكتاب في حد ذاته وجرأة السرد... إنها رواية حديثة لكن أحداثها تدور في القرن السادس عشر".

وأضاف رئيس اللجنة أن قرار اختيار مانتل لم يأت بالإجماع، وإن كان الجميع راضين عنه الآن.

وقال ايون تريوين المدير الأدبي لجوائز بوكر إن رواية "صالة الذئب" باعت نحو خمسين ألف نسخة في بريطانيا بعد أشهر من صدورها، وهو عدد مرتفع للنسخة المجلدة بغلاف سميك التي تكون عادة غالية الثمن.

وتعد جائزة بوكر إحدى أعرق الجوائز الأدبية في العالم، تكافئ سنويا منذ عام 1969عملا كتابياً تخيلياً لمؤلف من دول الكومونولث أو جمهورية ايرلندا.

وتنافس على الجائزة نخبة من الأدباء. ووصل إلى القائمة النهائية الروائي الجنوب أفريقي جيمس ماكسويل كوتزي من خلال كتاب "وقت الصيف" وكان أول روائي يتنافس للفوز بالجائزة للمرة الثالثة، والروائية البريطانية أنتونيا سوزان بيات بكتابها "كتاب الأطفال".

ورواية "المتاهة المتسارعة" للكاتب البريطاني أدام بولدز الذي يعتبر أصغر المرشحين للفوز بالجائزة "34 عاما".

سنوات في جدة

ولدت هيلاري مانتل في ديربيشير الإنكليزية في السادس من تموز (يوليو) عام 1952، ودرست القانون قبل أن تنتقل للعيش مع زوجها في بوتسوانا ثم المملكة العربية السعودية وتحديدا في مدينة جدة، حيث قضت أربع سنوات كتبت فيها تحقيقاً صحفياً مطولا عن الحياة في السعودية ونالت عنه إحدى الجوائز المحلية، ثم قعادت للعيش في بريطانيا في منتصف عام 1980 من القرن الماضي.

نشرت هيلاري روايتها الأولى بعنوان "كل يوم هو عيد الأم" عام 1985.

وحصلت على جائزة "وينفرد هولتبي" عام 1989 عن روايتها "فلود"، واختارت صحيفة صنداي اكسبرس روايتها "مكان أكثر أمنا" ككتاب العام 1993، وفي السنة التي تلتها فازت روايتها "تجربة في الحب" بجائزة هوثورندن.

ترى هيلاري أن جائزة بوكر لم تفقد جودتها الأدبية وتسقط في المراهنات غير الادبية، "لم أكن متأكدة من الفوز، لكنني لا يمكن أن أفرط بسعادتي به، كان ذهني منطقياً قبل إعلان النتائج، فثمة خاسر وفائز، وكنت أتقبل الأمرين، من دون أن أفرط بفرحي بالفوز، أما مشاعر الخسارة فهي أضحت أمراً غيبياً لا يمكن وصفه بعد أن فزت! لكن في النهاية الجائزة لن تغير حياتي المهنية".

تعتقد هيلاري أن من فاز بالجائزة هو الملك هنري الثامن، وليس كروموبل السيء!

وتعود هيلاري بذاكرتها ثلاثين عاما إلى الوراء عندما كتبت روايتها الأولى "كل يوم هو عيد الأم" عن الثورة الفرنسية وأعيد طبعها عام 1992، وترى أن ثمة مساحة خافتة في ذهنها عن الجوائز، لكن المعالجة المحتدمة والحميمية في آن واحد لحياة كروموبل جعلت هذه المساحة مضاءة جداً.

لا تؤمن هيلاري مانتل بالحكاية التقليدية عن الأميرة التي تتزوج وتسافر إلى البلاد البعيدة، فكل الإنكليز مرضى بداء السفر، لكنها عندما سافرت إلى الشرق اتخذت خطوة بالتحرك إلى الأمام على الأقل في ذهنها.

لم تعد مانتل إلى السرد التوراتي الشائع في كتابة "صالة الذئب" ولم

تود أن تكرر الأفلام الوثائقية والمسرحيات وكتب السير التاريخية، كانت تبحث في تلابيب الشيخوخة كما كانت تحاور الطفولة، انطلاقا من طفولتها التي لا تنقصها الوحشة وسمات العذاب.

تعرفت هيلاري على القهر داخل أسرتها منذ أن كان عمرها 11 عاماً عندما أطاح الأب بالأسرة برمتها، ولم تره بعد ذلك أبداً، حيث أخذت اسم عائلة زوج أمها، وعانت بعدها من سوء التشخيص الطبي حول إصابتها بمرض في الرحم "كانت مريضة وغير مريضة في وقت واحد، أي تعذيب هذا؟".

ثم تزوجت جيرالد الجيولوجي الذي اصطحبها إلى بوتسوانا ثم إلى جدة في المملكة العربية السعودية.

عندما عادت إلى إنكلترا من السعودية، منتصف عام 1980، كان عليها أن تعرف حقيقة مرضها، وهو ما دفع الأطباء إلى اعتبارها امرأة متعجرفة لا تثق بتشخيصهم، لكنها لم تكن تدرك طبيعة مرضها هل ثمة ورم في الرحم، وهل ينمو خارجه، هل ستنجب أم لا؟

لكن الكتابة كانت حافزا للاستمرار في الحياة "سر المثابرة، كما تقول، هو الاحتفاظ بدفتر ملاحظات في السرير".

أول شيء تفعله هيلاري مانتل عندما تستيقظ هو الكتابة، لكنها أحيانا تبقى أياماً من دون ان تكتب، حالتها الصحية السيئة جعلت منها كاتبة، كانت تقاوم المرض بالخيال. لكنها تجيب عن سؤال يتبادر إلى الذهن قبل أن يطلق عليها "بالطبع أفضل صحتي على الكتابة".

تفاقمت الأسئلة لدى هيلاري مانتل عن علاقة الاسلام بالغرب عندما قضت سنوات في مدينة جدة السعودية مع زوجها الجيولوجي جيرالد، كان

الإحباط لديها يتصاعد مع تطور الأحداث السياسية آنذاك، وكانت تتساءل مع نفسها "من أنا؟". أما الكتاب فكان الضحية في كل هذه الأحداث، كانت تفكر بقلق عما إذا كانت قادرة أن تكتب شيئاً عن السياسة من دون أن تكال إليها الاتهامات.

كتبت عن تجربتها في مدينة جدة رواية "ثمانية أشهر في شارع الغازية" عام 1988، ثم "اتجاه الريح في جدة" وأصدرت "فلود" 1989، "مكان أكثر آمناً" 1992، "مناخ متغير" 1994، "تجربة في الحب" 1995، "العملاق اوبراين" 1998، "الكتابة المنزلية في أوروبا" 2002، "التخلي عن الشبح" 2003، "تعلم الكلام" قصص قصيرة 2003، "بيوند بلاك" 2005.

وتتناول رواية "العملاق أوبراين" قصة تشارلز أوبراين الذي يغادر منزله في ايرلندا لاستثمار أمواله في عمل ثانوي في لندن، فنكتشف علاقة المشاعر بالمكان، الملامح الحسية للضجر والتردد والمجازفة في الأوساط الطبية، إنها رواية مكان لا مكان فيه للمال إلا بقدر كونه هامشياً. كما تكشف عن أخلاقيات مهنة الطب عندما تتردى.

أما "التخلي عن الشبح" فهي أشبه بسيرة ذاتية واقعية مفعمة بالخيال تقود القارئ إلى طفولة الكاتبة المبكرة واستكشاف سنوات المراهقة التي دفعتها إلى الكتابة.

وتعالج موضوع الأصولية الإسلامية في رواية "ثمانية أشهر في شارع الغازية" مستثمرة إقامتها بمدينة جدة.

يبدو أن إيحاء الحرب في العراق يثير التساؤلات غير المباشرة في روي هيلاري مانتل، لكنها لا تود الحديث مباشرة عن العراق، وتكتفي بالتساؤل عما إذا كان احتلال هذا البلد نوع من الغزو التبشيري المسلح؟!

غياب الاب

هيلاري واحدة من الروائيين اللذين استثمروا غياب الاب الفعلي عن حياتهم في الكتابة، لتثير دلالة الهوية في حياة الإنسان، وكيف جاء المرض أشبه بنتيجة عن غياب الأب، كانت في بعض الأحيان لا تعرف نفسها بسبب تعاطي العقاقير منذ أن كان عمرها 19 عاماً.

في سنوات دراستها كانت هيلاري غالبا ما تغيب عن المدرسة بسبب المرض، الأمر الذي سبب لها نوعا من الصمت استثمرته لاحقا في الكتابة عندما تحول "البكم" إلى كلام على الورق.

كانت بين ثلاثة أشقاء، والدتها تذهب للعمل في مصنع وتطمح لابنتها هيلاري التفوق في الدراسة الجامعية، وعاشت الأم مع أولادها عند مستأجر مع أنها لم تحصل على الطلاق بعد غياب الزوج، وتتظاهر أنها ما زالت متزوجة.

عاشت هيلاري آنذاك نوعاً من التهميش في المنزل حتى مغادرة والدها من دون عودة، لكنها عندما تتذكر ذلك لا تحزن أبداً على غيابه، مع أنها لم تره مرة أخرى، وتفسر ذلك بنوع الحزن عندما يتعلق بمستوى منخفض من المشاعر الداخلية للمرء، إذ لم تكن هي سبب غياب الأب عن حياتها وحياة أسرتها.

كانت هيلاري أول شخص في العائلة يدخل الجامعة، اضطرت أحيانا إلى التسول من أجل إتمام دراستها مثل العديد من فتيات بلادها آنذاك، بعد أن رفض زوج أمها أن يتكفل بمصاريف دراستها حتى زواجها. وتقول عن ذلك انها لو لم تتزوج لما استطاعت إكمال دراستها.

وفر لها زوجها الجيولوجي فرصة اكتشاف الحياة المريرة في افريقيا أثناء عمله في بوتسوانا البلد الأفريقي الذي استقل عن الاحتلال البريطاني عام 1966.

كل ذلك تزامن مع تدهور حالتها الصحية إثر خطأ بتشخيص مرضها في بطانة الرحم، وتعاطيها عقاقير مضادة للاكتئاب.

في بدايتها الأدبية قدمت مخطوطة لأحد الناشرين من 350 ألف كلمة لكنها رفضت، تقول هيلاري "لم أكن واثقة أنه قرأها في الأصل!" لكنني أعدت نشر الرواية عام 1992 ونجحت.

لم تحاول هيلاري مانتل رثاء ذاتها في كل ما تكتب، كونها لم تنجب، وتأمل عندما تكتب مذكراتها أن تكون ساخرة أكثر مما هي مغالية.

على الكاتب التخلص من الخجل عند الكتابة بالتركيز على فعل الحواس، هكذا ترى "عندما يعمل الدماغ لا يهم إن كان الجسم عاطلاً!"، يمكن للكاتب أن يخطط في ذهنه، لكنه بمجرد الجلوس إلى لوحة مفاتيح الكمبيوتر يتلاشى الوقت للتفكير لصالح العمل وحده. ويتساءل في نهاية الأمر "أواه.. ماذا فعلت؟".

مرضت هيلاري مانتل في غدتها الدرقية وزاد وزنها أكثر مما ينبغي الأمر الذي جعلها تفقد ملابسها خلال أسبوع واحد! لكنها لم تفقد الأمل في حياتها، وأصبح جسدها كما تصفه أشبه بقطعة أثاث من الدهون "الكاثوليك يرون أن الأسرار المقدسة تأتي من الخارج لتكون نعمة في الداخل".

تنظر إلى جسدها مثل كتاب فكاهي وتضحك، وهي عازمة على رواية ذلك في قصة عن الجسد وتفضلها على كتابة المذكرات.

تقول "سواء كنت كاتبة رواية أم مذكرات، وصلت إلى فهم معين في النهاية، إنني ألقي بعض الضوء على خلفيتي وما زال هناك الكثير الذي لا يوصف".

مادلين ميلر توقظ هوميروس

لن تكون المدرسة الأميركية مادلين ميلر بعدسات عينيها المستدقة نذير شؤم على جائزة أورنج للكاتبات الروائيات وهي تنال جائزة العام 2012 عن أول رواية تنشرها "أغنية آخيل".

ربما تحققت بعض أمنيات الرجال الكتاب وحتى الصحفيين منهم الطامحين بإلغائها في نظرة عنصرية للأدب الذي تكتبه النساء "أنظر ماكتبه صحفي مهم بمستوى سايمون جينكيز متهكماً أكثر مما ينبغي بوصف جائزة الأورنج للرواية بجائزة الليمونة".

وغيره من الكتاب الذين يعتقدون أن الكاتبات لا يحتاجن لجائزة مخصصة لهن، المؤسف أن بعض النساء الكاتبات يشاركن عنصرية الرجال هذا الرأي.

مادلين ميلر الأميركية كانت آخر الكاتبات اللواتي حصلن على جائزة أورنج للرواية وهي تحمل هذا الاسم، إذ من المؤكد ان اسمها سيتغير إثر تخلي الشركة الداعمة "أورنج للهاتف النقال" بعد 17 عاما من تأسيسها في بريطانيا، لكن مجلس إدارة الجائزة التي تمنح سنوياً لكاتبة روائية باللغة الإنكليزية وقيمتها 30 ألف جنيه استرليني، أكد أنه يتفاوض مع أكثر من داعم لاستمرار منح الجائزة للنساء، وللنساء فقط.

قائمة متنافسة

ضمت القائمة النهائية التي ناقشت رواية أغنية آخيل رواية آن باتشيت الفائزة من قبل بالجائزة نفسها "State of Womder" "حالة العجب"، وايسي ايدغويان بروايتها " Half Blood Blues"، "نصف دم بلوز" وآن انرايت بروايتها The Forgotten" "المنسي"، وجورجينا هاردنغ بروايتها

"Painter of Silence" "رسام الصمت"، وسينثيا أوزيك بروايتها "Foregin Bodies" "أجساد غريبة".

وشد لجنة تحكيم الجائزة المؤلفة من عدد من الكاتبات والمذيعات في التلفزبون خط عقدة رواية "أغنية آخيل" الزاخر بالحياة اليونانية القديمة بأبطالها وسيوفهم وصنادلهم.

وقالت جوانا ترولوب رئيسة هيئة الجائزة "هذا عمل أكثر من جدير بالجائزة فهو أصيل وعاطفي وإبداعي ومحفز... هوميروس كان سيفخر بها".

يصف أحد الاصدقاء السابقين لميلر كتابها بالقاسي وأنه مثل خيال مروحة، ويمكن أن نفهم هذا الكلام عندما نقرأ ماكتبه الناقد مندلسون دانيال في صحيفة "نيويورك تايمز" بقوله "إن هذا الكتاب له رأس رواية الشباب البالغين، على جثة الياذة هوميروس، ومتنه من باربارا كارتلاند".

تتناول الرواية حياة الأمير الشاب باتروكلوس، الذي نفي إلى فيثيا حيث يلتقي ويصادق آخيل الشاب القوي الوسيم.

ومع تعمق علاقتهما حد الوله الجسدي، تأتي الأخبار من أسبرطة بنبأ خطف هيلين زوجة الأمير، فيضطر الصديقان إلى الارتحال إلى طروادة، دون أن يدركا ما ينتظرهما هناك.

تأخذنا الرواية إلى إلياذة هوميروس بطريقة ما، عندما يعود الصديقان إلى طروادة، حيث باتروكلوس يجد نفسه ممزقا بين ضميره وحبيبه.

ويفقد آخيل صديقه باتروكلوس في المعركة، يعيش القارئ فيها وكأنه في الياذة هوميروس، الأمر الذي يدفعه إلى العودة إلى الحرب مكابرا على أحزانه من أجل الانتقام لروح صديقه.

تركز هاجس مادلين ميلر حول نكبة آخيل بصديقه وردة فعله المدمرة، لذلك أرادت أن تفهم وهي تسرد الأحداث الروائية من هو باتروكلوس، لأنه بدا أشبه بلغز بعيد المنال في الإلياذة، لذلك أطلقت السؤال الجديد في الأحداث الروائية القديمة عن ذاك الرجل الذي عنى الكثير بالنسبة لآخيل.

واستغرقت كتابة الرواية من مادلين عشر سنوات، قبل أن تلغي جهد خمس سنوات من الكتابة غير مبالية وتعود إلى السطر الأول من جديد.

لن تبدو رواية أغنية آخيل التي نشرتها دار بلومسبيري عام 2011 مجرد سرداً تاريخياً تخيم عليه العواطف، إنها صناعة للتاريخ بأنامل معاصرة، وذاكرة طفلة غضة هي مادلين التي كانت تستمع إلى أمها تقرأ لها الإلياذة والأوديسة وتخفي عنها مشاهد العنف وربما الجنس.

التاريخ في هذه الرواية يرتدي نفس عدسات مادلين ميلر الطبية، لكنه أكثر عنفاً واحتداماً وعاطفة مما درسته ميلر وما تُدرسه الآن، قدرها أن تكون مُدرسة تاريخ منذ أن تعلمت اللغة اللاتينية وكان عمرها 11 سنة.

زمن غير واقعي في إنجاز رواية

إنها تعيد صياغة حرب طروادة وإلياذة هوميروس وربما قصص شكسبير بحسها، حيث قضت عشر سنوات قبل أن تنجز أغنية آخيل وهذا زمن يكاد يحسب ضمن الزمن غير الواقعي في إنجاز رواية واحدة.

يبدو أخيل في أغنيته قاسياً في المعارك ومسكوناً بالحنين مثل الشاعر جاك بريفير عندما يكره حبيبته بحنان!.

السرد التاريخي مفعم بصدى السيوف في المعارك من دون أن يخلو من

الجنس في لغة تصفها المحررة الثقافية في صحيفة "الغارديان" بالرائعة، وأحيانا ضبابية بفرح شديد.

لا يبدو الجنس هاجس متن الرواية، نعم هو موجود وبقوة بين الرجلين، لكن لن تفترض مادلين أنها تكتب عن قصة جنسية، هي بالنسبة لها قصة حب بين رجلين ونقطة تحول في إلياذة هوميروس.

ولكن على العموم، كانت رواية "أغنية آخيل" من بين الكتب الأكثر مبيعا في قائمة مختصرة. إنها رواية تحمل مع قصتها نداء إلى الرجال والشباب والشيوخ والنساء، والقراء على حد سواء لأنها مفعمة بالخيال والتجارب الأدبية.

باختصار إنها رواية المغامرة والحب، لكنها تعتمد على كيفية قراءتها.

لماذا باتروكلوس؟ تتساءل ميلر، وتقول إنها كانت تعرفه منذ أن قرأت لأول مرة إلياذة هوميروس. حزنت على وفاته، وكان مثيراً للصدمة لديها، فبقيت مبهورة به مثله مثل شخصية آخيل فحاولت في الرواية فهم علاقتهما.

لا تجد ما تجيب به كثيرا حول أهمية الرواية بالنسبة للجمهور، لكنه على أقل تقدير بالنسبة إليها تساعد رواية "أغنية آخيل" على إعادة الاهتمام بالأساطير اليونانية، والنظر بواقعية لمعالجة المثلية الجنسية.

كما تأمل أن تثير هذه الرواية بعض الأفكار حول المسؤولية الشخصية. "باتروكلوس ليس بشخص ملحمي، وآخيل هو الاخر كأي رجل عادي، لكن لديه المزيد من القوة تمكنه من مساعدة الآخرين، لنصل في النهاية إلى سؤال، ماذا يعني وجود شخص أخلاقي في عالم عنيف؟".

تعترف ميلر أنها كاتبة بطيئة، وهي تشتغل على روايتها الثانية ولا تشك

أنها قد تقضي عقداً من الزمن قبل إنجازها، ربما لتتشبع أكثر بالتاريخ وهي مُدرسة التاريخ.

متحف متروبوليتان للفنون

مادلين ميلر هذه الأميركية الصغيرة والتي تخترن في ذاكرتها تاريخاً من الأحداث ولدت عام 1980 في بوسطن، ونشأت في مدينتي نيويورك وفيلادلفيا.

أكملت دراستها في جامعة براون، وحصلت على درجة البكالوريوس والماجستير في الكلاسيكيات.

على مدى السنوات العشر الماضية، ركزت مادلين على تكييف النصوص الكلاسيكية مع الأشكال الحديثة لطلاب المسرح.

عندما تستعيد التاريخ تعود إلى طفولتها في نيويورك لتصنع منه تاريخاً آخر للكتابة، تتذكر حيث أمها تصطحبها إلى متحف متروبوليتان للفنون، مرتين في الشهر، وتسمح لها باختيار الأروقة حيث مرت بكتل الحضارة البابلية والأشورية واليونانية والفرعونية.

عمقت الزيارات المتتالية إلى متحف متروبوليتان حب التاريخ في أعماق الفتاة مادلين، واكتشفت ما يشبه الحقيقة في الأساطير، كانت تحب التحديق في التماثيل وتحاول الإيحاء عما يكن في دواخل هذه التماثيل.

ويمكن أن يجد القارئ في رواية أغنية آخيل ما هو مستوحى من فيرجل وطريقة تفسيره لوجود الله، أو استلهام شخصيته وتوسلاته العاطفية وطلبه الرحمة والمغفرة، وصوره الجميلة، بالطبع هناك الكثير من هوميروس أيضاً.

واليوم تشعر مادلين أنها محظوظة بما يكفي وهي تسرد على طلبتها باللغة اللاتينية التاريخ اليوناني، كما تعتبر مشاركتها في أعمال الحفر والتنقيب في الأماكن الأثرية مع طلبتها من أفضل التجارب في حياتها.

لن تتخلص مادلين من طفولتها بعد، كما تبدو هيئتها فعندما كانت في الثانية عشرة من عمرها تمنت أن تكون طبيباً بيطرياً، ولحسن الحظ أو لسوئه لم تكن بارعة في عمليات سحب الدم التجريبية وعندما أضحت في الثامنة عشرة من عمرها اكتشفت المعلمة في داخلها، لكنها في الوقت نفسه تعرفت على الكاتبة فيها، ومنذ ذاك الوقت وهي لا تفرط بإحساسها أنها كاتبة فعلاً، لقد تجرأت أن تكون كاتبة وهي كذلك اليوم، بل إنها حصلت على جائزة مرموقة عن أولى رواياتها.

وهي اليوم تمارس الحلم التاريخي مع طلبتها في مدرسة الدراما عندما تلبس التاريخ الشكسبيري رداءً مغايراً كما تشاء هي أو يشاؤوا هم.

تقول مادلين أحب العمل التاريخي مع طالبات المرحلة الثانوية على المسرح، لأنه يعطيهن مكانا آمنا لاستكشاف مناطق مختلفة من سن المراهقة.

وتبدو تساؤلات عن قوة الإيمان عند مادلين ميلر منذ أن كان عمرها 18 عاماً، أكثر ما يجذبها اليوم ويدفعها إلى مزيد من التفكير، هي مثالية جدا كأساتذتها، إذا لا تود السقوط في الهاوية وتتألم كثيرا عندما تتذكر كيف تم استدعاؤها من قبل مدرسها عندما كانت طالبة آنذاك، واليوم وهي المدرسة بدأت تتفهم ذاك الأمر بأكثر واقعية، لأن المدرسين مثل البشر الآخرين غير معصومين من الخطأ.

لكنها مع ذلك كانت محظوظة عندما ظفرت بمدرسين قدروا موهبتها

وحرضوها على الكتابة، بل ما زالت تحتفظ بدفاترها إلى الآن أثر وصية من مدرسيها.

تثير مادلين ميلر الشكوك حول المثلية الجنسية بتأثرها برواية جينات وينتيرسون "الكتابة على الجسد" التي تعتبرها واحدة من أكثر الروايات الجميلة التي قرأتها في ما مضى من دون أن تتخلص من آثارها.

لا تتحدث مادلين عن أولى روايات وينتيرسون "البرتقالة ليست الفاكهة الوحيدة" هنا مع أنها تتناول المثلية الجنسية، لكنها لا يمكن أن تهبط بإحساسها وهو يرتقي مع غابرييل غارسيا ماركيز وإيزابيل الليندي.

إنها تعلمت الكثير من شكسبير في توصيف القص والتعامل مع إيحاء اللغة، بل إن أولى أعمال شكسبير أوحت لها بالكتابة عن آخيل من دون أن تفكر باستنساخ تاريخية هذه الشخوص.

روز تريمين تتوق الى الحلم والكرامات المهدورة

أخلصت الروائية البريطانية روز تريمين لرفيقة رحلتها في الكتابة منذ ثلاثين عاماً، المدققة اللغوية بيني هور عندما أهدتها جائزة أورانج التي حصلت عليها عن روايتها "الطريق إلى المنزل".

بدت سعادة تريمين بالغة قبل شهرين من الاحتفال بعيد ميلادها السادس والستين عندما رفعت روايتها وقالت في رواق قاعة الاحتفالات الملكية "الرويال كورتس أوف جستيس" المدجج بالفخامة اللندنية "لدينا الكثير نحتفل به اليوم"، من دون أن تنسى وكيلها الأدبي وناشرها وشريكها في الحياة.

وجائزة أورانج التي خصصتها شركة أورانج للهاتف المحمول البريطانية سنوياً منذ العام 1996 للكاتبات، تحمل معها كل عام حلقة من الجدل المتكرر حول تخصيصها للنساء حصراً، ولماذا لا تهتم إدارتها بالكتاب الرجال.

تمنح الجائزة عادة مبلغا ماليا يعادل 60 ألف دولار أميركي للفائز، لكن قيمة الجائزة تكمن فيما سيدر على الفائز من أموال إثر توزيع كتابه.

تحكي رواية "الطريق إلى المنزل" الصادرة عام 2007 قصة ليف، المهاجر من أوروبا الشرقية إلى إنكلترا سعياً وراء تأمين حياة أفضل لوالدته وابنته، لتسرد في لغة شعرية تميل غالباً إلى الإيحاء السحري والغرائبية، يوميات المهاجرين وسط مجتمع صعب المراس، قاس في قبول المهاجرين والاندماج معه.

سيرة ليف، هي نفسها سيرة عشرات الآلاف من المهاجرين إلى بريطانيا بحثاً عن الكرامة المهدورة في بلادهم، والحلم الذي رافقهم منذ الطفولة.

ويبدو أن الرواية التي ستبث هذه المرة رسالة سياسية اجتماعية، إضافة الى رسالتها الإبداعية، تلفت الانتباه إلى مجتمع مواز إلى حد ما يعيش على هامش المجتمع البريطاني.

رواية ثاقبة البصيرة

لجنة تحكيم الجائزة التي تتغير سنوياً اتفقت هذه المرة على الرواية ومنحت أصواتها لتريمين، ووصفتها رئيسة لجنة التحكيم المذيعة والصحفية كريستي لانغ بقولها "الحكام شعروا بأنها قصة خيالية قوية وعمل رائع ملؤه العاطفة المحكية بحس مرح ودافئ".

وقالت لانغ "رواية الطريق إلى المنزل ثاقبة البصيرة عندما عالجت ثنايا إحدى أكبر الهجرات في تاريخ المملكة المتحدة، البريطاني متوسط الثقافة يجهل غالباً حياة آولئك المهاجرين وطبيعة عيشهم في بلد متعدد الأعراق والأجناس واللغات، إنها بلا شك رواية تأسر القارئ".

أما روز تريمين التي وصفتها لجنة التحكيم بالعروس الفائزة قبل شهرين من الاحتفال بعيد ميلادها السادس والستين، فقالت "إن جائزتها أضيفت إلى سلسلة الفوز الأدبي لمؤلفات النساء ومن بينهن دوريس ليسينغ التي فازت بجائزة نوبل، والأسكتلندية أليسون كينيدي الحاصلة على جائزة كوستا عن روايتها (يوم)".

وفتحت هذه الإشارة سلسلة الجدل حول تخصيص جائزة أدبية للمرأة دون الرجل، فإشارة تريمين كانت من الذكاء بمكان عندما التقطت جوائز تمنح عادة للأدباء من الجنسين، لكن الفائز بها هذه المرة من النساء الكاتبات، لتقول لنا إن جائزة أورانج ليست كما يصفها بعضهم "عنصرية" فالنساء الكاتبات قد فزن أيضاً في جوائز أخرى مخصصة للجنسين.

قدر الكلمات

ولدت روزماري جين تومسن تريمين في الثاني من آب (أغسطس) عام 1943 في لندن، أكملت دراستها الإعدادية في كروفتون عام 1954، وتخرجت من جامعة انجليا عام 1965، قادها القدر إلى إيحاء الكلمات بعد عشر سنوات من تخرجها من الجامعة فأصدرت روايتها الأولى "عيد ميلاد سادلر" عام 1976 ليتصاعد ولعها بالكتابة وتصدر لغاية اليوم 12 رواية آخرها "الطريق إلى المنزل" التي جلبت لها المال والشهرة المضافة.

ومن بين أعمالها الأخرى "لا تكن قاسي- 1978"، "رسالة إلى الأخت بنيديكتا- 1979"، "الدولاب- 1981"، "المسبح- 1985"، "رحلة إلى البركان- 1985"، "إعادة- 1989"، "البلاد المقدسة- 1992"، "عثرت على الطريق- 1997"، "الموسيقى والصمت- 1999"، "اللون- 2003" إضافة إلى مجموعة من المسرحيات والمسلسلات التلفازية والإذاعية.

تزوجت جون تريمين في 1971 وأنجبت إلينور 1972 التي أصبحت فيما بعد ممثلة تلفازية، لكن زواجها لم يدم أكثر من خمس سنوات، زواجها الثاني كان من المخرج المسرحي جوناثان دادلي عام 1982 ودام حوالي تسع سنوات، وتعيش منذ عام 1992 مع ريتشارد هولمز.

طقوس الكتابة عند تريمين مفعة بالراحة، هي غير متوترة غالباً وصافية، تدير ظهرها إلى الريح وتدع باب مكتبها مفتوحاً ليمتلئ بالضوء، تحتفي بهذه الطقوس، الأمر الذي دفعها إلى كتابة نص عنها وأرفقت ذلك بصورة فوتغرافية لمكتبها الأشبه بأستوديو صغير.

التوق والتحدي

سُحرت روز برواية الذباب لوليام غولدن ولم تتخلص من تأثيرها إلى اليوم وتعلمت كثيراً من الواقعية السحرية لغابريال غارسيا ماركيز خصوصا في "مائة عام من العزلة" ولاتكف عن العودة إلى كلمات هذه الرواية التي تصفها بعصير الفضة.

وهذا يفسر لنا ولعها بالتاريخ والبحث عن الغرباء في زوايا غير متوقعة، تركز في كتاباتها على الأشخاص غير الفاتنين ويشدها سرد قصصهم المليئة باللوعة والحنين والتواقة إلى الأمل.

أثمرت تجربتها الإبداعية عن مجموعة من الجوائز وتوجتها بجائزة "أورانج"، من بينها جائزة "صنداي إكسبريس" عام 1989 وجائزة "وايتبريد" عام 1999 ورشحت إلى جائزة بوكر الشهيرة عامي 1988 و2000 من دون أن تحصل عليها.

تعتقد روز تريمين أن مجازفة الكاتب تكمن في الاستمرار على شكل واحد من الكتابة، الأمر الذي يوقعه في فخ التكرار الفاسد، وهو ما يدفعها إلى كتابة القصة القصيرة والأعمال الدرامية والمسرحية وأدب الأطفال فيما تصدر رواياتها بمعدل كل أربعة أعوام تقريباً.

تستاء من فكرة أن تستمر الكاتبة في معالجة هموم النساء وحدها، الأمر بالنسبة لها أشبة بإحتراف بيع الهوى، الكاتبة ليست امرأة متخصصة بالجنس! عليها البحث في تلابيب العقول والطبقات وأصناف العواطف وطبيعة الأماكن والعودة للتاريخ من دون أن تهمل الناس المهمشين في الحياة، أولئك يمتلكون من القصص أروع بكثير من البارزين.

في رواياتها الأولى ركزت روز تريمين على الأماكن غير المعهودة والأشخاص غير المألوفين كما في روايتها "عيد ميلاد سادلر" ذلك الخادم

الهرم الذي يدور مع سيده في عيد ميلاده بأروقة البيت الفخم والفارغ معاً، يتصرف معه كما يتصرف النبلاء ويقمع مشاعره الحقيقية، إنها رواية تمزج المرح بالأسى بخلطة غير متوقعة من الكلمات.

وفي رواية "رسالة إلى الأخت بنيديكتا" نكتشف عالم روبي المرأة المتوسطة العمر البدينة التي تعيش مع زوج ناجح وأطفال لطفاء، لكن سرعان ما تتغير حياتها عبر ضربة موجعة لزوجها تفتت إتساق العائلة وسقوط أبنائها في المحذور، إلا أن روبي تواجه التحدي وتظهر أقوى مما كانت لتصل إلى حياة جديدة، نكتشفها عبر رسائلها إلى الراهبة الهندية بنيديكتا.

رواية "الدولاب" عمل طموح يغطّي القرن الماضي والحربين العالميتين، أحداث مقدمة من وجهتي نظر متضاربة، تفتح الرواية ماضيها ومشاعرها العميقة في سلسلة المحادثات والتقديرات بلغة مؤلفتها التي لا تميل إلى أي كفة وكأنها لاتمت بصلة إلى أبطالها "إنّ الحياة الدينامية لبطل الرواية جعلت منه إنساناً مختلفاً حد إن وصل إلى التمرد".

ترى روز تريمين أن على الكاتب أن يتغير بعد كل ثلاث روايات يكتبها، ويضع قلمه في تحد مع الحلم الذي يتوق إليه، لذلك تلجأ إلى القصص القصيرة في نوبة إشتياق وتبحث عبر نثر مدروس عن المصائر العميقة والمتقاطعة في صفحات قليلة.

هذه الكاتبة وصلت إلى ذروة روح الكلمات بعد أن تعرفت على آليتها بالممارسة والخبرة، تشعر أنها تعيش من أجل الكتابة ولم تصل إليها متأخرة كما يرى البعض، العمر بالنسبة لها حافز للتفكير الهادئ والمرن، حتى الحب يجدد من يجدده، لا مجال هنا للخصومات مع الآخر، الحياة تمضي كما تشاء وإلى حد ما إلى ما نشاء.

أمي كم هي محبوبة في هذه الصورة

وضعت تصوراً لهذا العش أو الأستوديو أو المكتب مذ كان عمري 21 عاماً، اخترت له ما كان يزين كاحلي فتاة بعمري آنذاك في طراز مكتبي.

قبل سنوات قليلة أضرمت ثورتي ضد كل الأشكال والموجودات في المكتب واستبدلت ورق الجدران بلون الطيور، والستائر إلى مهدبة ذهبية وحمراء، والسجاد بلون القش... وحتى الآن أشعر بسعادة بعد هذه التغيرات، لأنه مكتبي وهو غير بيتي المليء بالألوان اللامعة.

منضده الكمبيوتر عتيقة وقبيحة، لكنّي لا أفترضُ بأنني سأستبدلها أبداً، كتبتُ عليها 13 كتابا، فكانت أشبة بعلاقة عقد عاطفي معها، هي لوح خشبي من الصاج، لكنني أشعر تجاهها بإحساس عاطفي ومودة متصاعدة.

الكرة الأرضية المضاءة على المنضدة التي أهداني إياها شريكي في الحياة ريتشارد هولمز عام 1992، تساعدني على التذكر والتعرف على أي مكان صغير في بريطانيا وفي هذا العالم الصاخب الواسع.

أعتقد ان العيش مع هولمز بعد تجربتي زواج تمنحني المسرة والبهجة، لقد قضيت معه وقتاً في اقتناء هذه الهدية التي كانت بمناسبة عيد الفصح.

على منضدتي الأخرى، حيث قرأتُ مئات الكتب وكتبت الملاحظات السريعة وخططت لرواياتي قبل تحويلها إلى العمل الحقيقي على الكمبيوتر، صورة إبنتي، إلينور، التقطها صهري إليها في عربة يسحبها حصان بمدينة نيويورك، وهي تلبس قبعة روسية ويتساقط دمعها من نشوة الفرح والبهجة، وعندما أنظر إلى هذه الصورة تغمر قلبي بهجة مماثلة لبهجتها عند التقاطها.

في أغلب الأحيان، أرفع رأسي من الكتابة والقراءة وأنظر إلى الخارج، إلى الحديقة، فأتذكر كم قضى الكتّاب العظام من الوقت وهم ينظرون إلى السماء... أما فضائي الأخضر فمظلل بالأشجار العتيقة، من يدري ربما زرعها الاسكتلنديون في زمن تشارلز الثاني عندما كان على العرش.

إلى يمين النافذة صورتان: ولسون الذي عمدني من زمن طويل ولا أعرف أين هو وصورة أخرى لجدتي في حديقة وعلى ركبتها طفلة رضيعة، إنها أمي... يا إلهي كم هي محبوبة في هذه الصورة.

أبقي هذه الصورة أمام عينيي كي لا أنسى أبداً!!!

جانيت وينتيرسون

تفك أسر الكلمات من مؤامرة الصمت

تكاد تجيب جانيت وينتيرسون على حزمة من الأسئلة رافقتها منذ روايتها الأولى "البرتقالة ليست الفاكهة الوحيدة" كما تدع الأفق مفتوحاً على إطلاق أسئلة متصاعدة في كتابها الجديد "لماذا نسعى لنكون سعداء في حين يكفي أن نكون طبيعيين".

هذا الكتاب يبدو أنه ولد تحت ضغط امتزاج الخيالي بالواقعي في سيرة وينتيرسون، وعما إذا كانت حقاً قد عكست حياتها الخاصة في روايتها الاولى، وتكاد تجد ما تجيب أو تبرر به في كتابة مذكراتها.

مهما يكن من أمر فالكتاب الجديد "لماذا نسعى لنكون سعداء في حين يكفي أن نكون طبيعيين" موضع احتفاء نقدي منذ ظهوره في المكتبات، وكل العروض التي كتبت عنه تكاد تعيد قوس الكلام إلى رواية "البرتقالة". حتى أن "بي بي سي" خصصت أشهر برامجها الإذاعية لقراءة مقاطع من الكتاب بصوت جانيت نفسها.

والكتاب مذكرات واقعية بامتياز، مفعم بالحوار الشعري والروائي، لا يخلو من الحِكم والغضب والتهكم، إنه ببساطة كتاب تعيد فيه جانيت العلاقة الضائعة مع أمها!

اختارت أن تضع صورتها على الغلاف عندما كانت طفلة تلعب وحدها على ساحل البحر، هل رأيتم من قبل أن يكون الساحل فارغا من الناس؟ أمن أجل ذلك اختارت له هذا العنوان؟ "لماذا نسعى لنكون سعداء في حين يكفي أن نكون طبيعيين"، هل أرادت ان تقول "يكفي أن تكون وحيداً؟" هي جملة سمعتها من أمها عندما قرر جانيت وينتيرسون ترك العائلة وهي في السادسة عشرة من عمرها.

عن أي أم تبحث؟

هل حقا تبحث جانيت عن أمها في مذكراتها؟ لكن عن أي أم تبحث؟ امها التي تبنتها منذ أن كان عمرها بضعة أسابيع، أم أمها البيولوجية التي تعرفت عليها أخيراً؟

في رواية "البرتقالة ليست الفاكهة الوحيدة" 1985 التي أصبحت لازمة لوينتيرسون، مع أنها نشرت بعدها "ركوب الزوارق للمبتدئين"، "العاطفة"، "ثمار الكرز"، "الكتابة على الجسد"، "ثلاثة أصوات وسمسار"، "تماثل"، "ياويربوك"، "أطلس"، "ويايت"، نكتشف أن جانيت تكتب شيئا من سيرتها عن أم متطرفة في مسيحيتها وتعمل لتجعل من ابنتها مبشرة وترغمها على الذهاب إلى الكنسية ست مرات في الأسبوع.

هذه الرواية التي تحولت إلى فيلم أنتجته "بي بي سي" عام 1990، تعالج الوضع النفسي لفتاة تعيش مع والديها المهتمين بالشعائر الكنسية والإخلاص المطلق لتقاليد الكنيسة بلا عمق فلسفي، تطبيق أعمى مجرد من العاطفة.

وعندما تتعرف الفتاة على صديقة لها تنجذب إليها كعشيقة، كذلك تكتشف الأم العلاقة الشاذة بين الفتاتين وتنقل الأمر لراعي الكنيسة الذي يقوم في قداس بكشف الإثم علناً أمام الحاضرين ويدعو بالمغفرة للفتاتين آملا أن تتخلصا من هذا الإثم.

وبينما تنهار الفتاة الثانية تبقى بطلة جانيت وينتيرسون على إصرارها مدعية أنها لم تقم بعمل آثم. فهل هذه الفتاة الشاذة جنسيا هي الكاتبة نفسها؟

لم يكن من الممكن ـ تقول وينتيرسون ـ "أن أعتقد أن (البرتقالة) هي حياتي الخاصة، حتى لو كنت مكان القارئ أو الناقد الذي يعتقد ذلك.

أعتقد أن ذلك سيكون خطأ عظيماً، أردت أن أخترع نفسي كشخصية روائية مما سبب لي الكثير من الحيرة، بالطبع إن الأساس قائم في رواية (البرتقالة) لكن هناك الكثير من ذاتي وحياتي بداخل متن جميع كتبي".

ومع أن الكثير من القراء يرون أن السيرة الذاتية تعد بإعادة الصلة المفقودة بينهم وبين الكاتب، إلا أن جانيت وينتيرسون ترى أن ذلك طريق ضيق للانقضاض على أي شيء.

"خذ مسرحيات شكسبير مثلا، فهل من الممكن أن تجيء كل تلك الأحداث من حياة شكسبير نفسها، إن كان ذلك ممكنا فهذا يعني أن شكسبير يجب أن يكون خمسين رجلا، وأنا بالطبع لا أذهب إلى تلك النظرية".

وفي كتاب "لماذا نسعى لنكون سعداء في حين يكفي أن نكون طبيعيين" تكتب بما يشبه الاعتراف أن حياتها كانت ثيمة روايتها الأولى، وهذه المرة في كتاب مذكرات، تعيد الكلام إلى الصلة المفقودة مع أمها بالتبني وكيف كانت تعتقد أن الشيطان يمكث في سريرها عندما ترى كتاباً بيد ابنتها غير الكتاب المقدس، الأمر الذي جعلها تمنع دخول أي كتاب إلى المنزل إلا الكتاب المقدس.

تقول جانيت "أرادتني أمي أن أحقق شيئاً ما تعوض فيه ما عانته من احباطات في كل طموحاتها... اهتمت كثيراً أن تجعلني مبشرة، واليوم أشعر أنني لم أكن أعرف ماذا كانت تريد مني، أو تريدني أن أكون".

تعلمت وينتيرسون أن تقرأ السيّر ببطء من خلال ما قرأته في الإصحاح الخامس في الإنجيل، لكن عندما عرفت أمها أن ابنتها هرّبت بعض الكتب الخاصة وأخفتها تحت وسادتها قامت بإحراقها جميعاً.

"عرفت أمي أن الكتب ستقودني إلى التيه، وكانت على حق، وبعد أن استقليت عن الأسرة لم أخذ شيئاً معي، الأشياء التي أحببتها ضاعت جميعها بالفعل".

من قرأ رواية "البرتقالة" سيكتشف أن كل ما راوده حول هذه المرأة كان صحيحاً، وهاهي جانيت بنفسها تكتب ما يشبه الاعتراف في كتابها الجديد، الذي لم يتأخر كثيراً عن العمر الافتراضي للكاتب، إذا عرفنا أن جانيت وينتيرسون ولدت عام 1959، ونشرت روايتها الأولى عام 1985، وتكتب مذكراتها عام 2011.

المعنى العميق للفقدان

عناصر القصة مألوفة لأولئك الذين قرأوا روايتها الخيالية "البرتقالة ليست الفاكهة الوحيدة"، لكن هذه المذكرات تكشف أجواء التضارب الأكثر غرابة، إنها كارثة بالمعنى العميق للفقدان وغياب الحلول النهائية للعلاقة بين البنت وأمها، من دون أن تفقد الكاتبة صلتها المتشبثة باللغة لإعادة بناء إحساسها بحياتها الماضية، ومعها من الشجاعة ما يكفي للعودة إلى الماضي وتدوينه.

كل ذلك يلتقي في متن هذا الكتاب بطريقة مضحكة، حادة، عنيفة واحتفالية، وهذا هو سمة البحث القوي الشكيمة عن الانتماء، عن الحب، والهوية، المنزل، والأم.

لم تر جانيت أمها كونستانس وينتيرسون منذ أن غادرت منزل العائلة وكان عمرها آنذاك 16 عاما للدراسة في جامعة أكسفورد، ألغت حياتها السابقة تماما بين أبوين لا يعرفان أي طريق آخر غير طريق الكنيسة،

وعندما نشرت رواية "البرتقالة ليست الفاكهة الوحيدة" كان عمرها 25 عاماً، انتابها آنذاك شيئاً لا يمت بصلة للحنين وكانت تود أن ترى أمها على الأقل لترسم لها صورة كما تحدثت عنها في الرواية! تتساءل "كيف يمكن أن أراها من خلال صوتها؟" وهي تحاول الاتصال بها في الهاتف.

تصفها في كتابها الجديد بالمرأة الضخمة والطويلة، ترتدي الجوارب المحتشمة والصنادل المسطحة وحجاب النايلون المسيحي، تضع بعض المساحيق على وجهها للحفاظ على بشرتها، لكن قطعاً ليس أحمر الشفاه.

كانت وينتيرسون في حاجة لفك أسر الكلمات من مؤامرة الصمت، مع أنها تدرك أن لا أحد سيغفر لمن يكسر هذا الصمت، أو هل ستجيب هذه المذكرات عمن سيغفر لأمها عن كل ذاك العذاب. "لكن الأهم من ذلك لماذا لا تفخر بي بعد أن صغت حياتي معها في رواية خيالية؟".

استعادت وهي تكتب، العوالم الداخلية لاميلي ديكنسون وفرجينيا وولف، لكنها تساءلت أيضاً لماذا ينبغي أن تقتصر الكتابة على المرأة قبل أي شخص أو أي شيء؟ لماذا ينبغي للمرأة أن تكون تواقة للأدب الذي يعالج حياتها؟ ولماذا لاتكون طموحة لنفسها؟.

تحدثت مع أمها بالهاتف بعد كل تلك السنين وكانت قد سألتها إذا كانت "البرتقالة ليست الفاكهة الوحيدة" مجرد قصة، لماذا هذا التشابه بالأسماء؟ وقالت لها لسنا أول عائلة تخترع تبني الأطفال، عندما اخترناك لتكوني ابنتنا. لتؤكد لها في النهاية أن ثمة شيء مفقود في كتابها هذا.

وبعد زيارة واحدة في عيد الميلاد عندما كانت تدرس الأدب الإنكليزي في جامعة أكسفورد، لم تلتق جانيت بأمها بعد ذلك "توفيت الأم عندما كانت جانيت في الثلاثين من عمرها".

لقد تكرر هذا السؤال كثيرا أمام جانيت وينتيرسون عن الحقيقي وغير الحقيقي في رواية "البرتقالة"، وحتى بعد نشر مذكراتها واكتشف القراء، الحقيقي حقاً في الرواية، فإن جانيت تقابل السؤال نفسه باسئلة موازية.

فالعالم الذي عاشت فيه كان مؤلماً جداً وغير عادل وظالم، بل خارج نطاق السيطرة، وما كتبته كان أشبه "بقصة تعويضية" لهذا الظلم، مع أن السيدة وينتيرسون "الأم" كانت تفضل أن تبقى جانيت صامتة.

الحياة المفترضة

ولدت جانيت في مانجستر عام 1959. والتُقطت وهي لم تبلغ السنة من عمرها لتتبناها عائلة في أكرينغتون- انكشاير، كان كل شيء انتهى في حياتها المفترضة مع حياتها الواقعية واعتمد والدها بالتبني جون ويليام وينتيرسون تاريخ 21 كانون الثاني (يناير) 1960 تاريخ مولدها بالنسبة له.

عاشت في منزل بارد، إنها عائلة إنجيلية بامتياز لا يقربون الشراب باستثناء "براندي الكرز" في عيد الميلاد، أب يحاول التهرب من الجيش لتوفير العيش لعائلته، وأم رمت خاتم زواجها في الحضيض ورفضت العلاقات الجنسية، حتى عندما كانت تدخن لسبب ما فإنها تجعل الأمر سراً. كانت تعتقد أن الله سيبعث لها بالأطفال.

تورد جانيت هذه الصور الجامدة من سيرة العائلة وتقول "أنا أفترض أن الله سيبعث لهما بالأطفال لو مارسا الجنس بطريقة طبيعية، لا أستطيع أن أفهم الآن كيف كان يفكر أبي، مع أن أمي كانت تصفه بأنه ليس مثل غيره من الرجال".

مرة سألت جانيت أمها "لماذا لا يكون لدينا بعض الكتب في البيت أسوة بغيرنا؟ فردت عليها بأنك لا يمكن أن تعرفي محتوى الكتاب إلا بعد قراءته، وعندها يكون قد فات الأوان".

تقول جانيت وبعد فوات الأوان، فعلا اكتشفت ذلك في وقت متأخر! وهكذا كانت تقرأ في طفولتها في الخفاء.

وعندما أرادت أن توظف تلك الحكاية افترضت ما يسمى بالمرأة العملاقة في روايتها "ثمار الكرز" عن أمها التي تشعر أنها أكبر بكثير من عالمها.

ولما سُمح لها بالقراءة في مكتبة المدينة، كان يفرض عليها كتب التاريخ والدين وغير مسموح لها قراءة أي كتاب يقترن بالخيال.

لكنها عندما كانت تتهرب من هذا الطوق كانت تلجأ إلى ت.س. اليوت، ومرة انهمرت دموعها وهي تقرأ داخل المكتبة، وقتها كان حتى العطاس غير مسموح به في صالات المكتبات!، فأُخرجت إلى الخارج لتكمل القراءة، حدث ذلك قبل وقت قصير من تركها العائلة.

نكتشف أيضا في مذكرات وينتيرسون أنها قررت أن تفعل شيئا حيال العثور على ماضيها الحقيقي، تفكر بالانتحار، وتلتقي والدتها الحقيقية، لكن هذا لا يعني نهاية القصة، فهي لا تقبل أن تكون لأي من الأمهات المتقدمات إليها. والكتابة عن الماضي لا تعني أنها غير قادرة على اكتشاف الحب في المستقبل، الحب هذا اللغز الذي تفتقر إليه وكان يطاردها.

وفي النهاية تبقى مذكرات جانيت وينتيرسون "لماذا نسعى لنكون سعداء في حين يكفي أن نكون طبيعيين" أشبه بطريقة للخروج من الماضي أو الكتابة فوقه، مدونة بقوة القص على أمل جعل المستقبل أفضل.

آن انرايت تحذّر قراءها من صراحتها الجنسية

عندما إحتفلت آن انرايت مع زوجها مارتن ميرفي وطفليهما بدخول عامها الخامس والأربعين، لم يخطر ببالها الاحتفاظ بزجاجة شمبانيا لاحتفال أروع ينتظرها بعد أربعة أيام! إلا أنها وجدت زجاجة أخرى للاحتفال اللاحق، من دون أن تخبرنا شيئاً عن احتفالها بعيد ميلادها "ولدت آن انرايت في 11 تشرين الأول (اكتوبر) 1962 في دبلن".

كانت المفاجأة خارج توقعها "كنت مستعدة لكل شيء... على الأغلب أي شيء إلا هذا" كما قالت لهيئة الإذاعة البريطانية بصوت مبتهج وهي تحصل على جائزة بوكر الأدبية عن روايتها "الاجتماع" من بين مجموعة من الروائيين البريطانيين ومن دول الكومنولث والذين يكتبون باللغة الانكليزية، والتي تمولها منذ عام 1969 مجموعة مان بوكر، وهم: نيكولا باركر عن روايتها "رجال الظلام" والبريطاني من أصل باكستاني محسن حميد عن روايته المثيرة للجدل "الأصولي المتردد" التي وصفتها صحيفة الغارديان بأنها توظيف فذ للتاريخ وتحديداً جيش الانكشاريين التابع للإمبراطورية العثمانية الذي كان يأسر الصبيان المسيحيين ويخضعهم لبرامج تدريب على القتال الشرس ضد شعوبهم.

ولد محسن حميد في مدينة لاهور الباكستانية في العام 1971، وأكمل دراسته الأولية فيها قبل أن ينتقل إلى إنكلترا ليدرس القانون.

وهو يعيش ويعمل حالياً في لندن، ونشر روايته الأولى "دخان العث" في العام 2000 وترجمت إلى عشر لغات بعد أن اختارتها نيويورك تايمز ككتاب العام، وتحولت الى مسلسل تلفزيوني في باكستان وأوبرا في ايطاليا، ويعد محسن حميد الكاتب الأصغر سناً من بين المرشحين الستة لجائزة بوكر.

والمرشح الآخر الكاتب النيوزيلندي لويس جونس عن روايته "السيد

بيب"، والإنكليزي ايان مكيوان عن روايته "على شاطئ شيسل"، المرشح الأخير في القائمة هو الكاتب البريطاني من أصل هندي أندره سينها عن روايته "شعب أنيمل" والرواية عموماً تنتمي إلى فنون القص الحديث الذي يجمع بين الثيمة الواقعية أو شبه الواقعية.

إبتهاج انرايت حفيدة أجواء يولسيسس ودبلن والغضب المسيحي والجعة السوداء ليس بمبلغ المائة ألف دولار الذي ستناله ثمنا لفوزها بأرفع جائزة أدبية بريطانية، وإنما بما سيليه من تداعيات تدر عليها كثيراً بعد سنوات مراهقة كئيبة عاشتها، وعمل إذاعي مرهق ومن ثم زواجها وإنجابها طفلين، وقبل ذلك وبعده أثمرت مجموعة قصصية وخمس روايات وكتاب مشترك عن الأمومة.

ووصف رئيس لجنة تحكيم الجائزة السير هاورد دايفس، التي يتعالى عليها النقاد الإنكليز بإيحاءات غير واقعية ويبتهج بها سكان دول الكومنولث أينما حلت، رواية انرايت بالقوية، غير المريحة، محبطة، وأحياناً غاضبة... "نعتقد أنها كاتبة مؤثرة وننتظر منها الكثير".

العذراء المحمولة

قبل روايتها "الاجتماع" التي جلبت لها الأضواء وستجلب لها المال وبيع منها لغاية قبل يوم واحد من حصولها على الجائزة ثلاثة آلاف نسخة، كانت الايرلندية آن انرايت قد أصدرت كتابها الأول "العذراء المحمولة" عام 1991 الذي نالت عنه جائزة روني الأدبية، وهي مجموعة قصص تحاكي الجنس والموت وإعادة إنتاج المشاعر بطريقة غير معهودة... نصوص تسرد بلغة حية الموت الذي لا يقبل بقدره ويصر على أنه الحياة، انها قصص

تصرف من السنين الطويلة والآفلة وتعود إلى عام 1934 "كيف تسنى لآن انريت أن تسرد زمن جدتها؟" مما يجعل القارئ يكملها بأقل من جلستين، قراءة لا يمكن إلا أن تكون مؤذية!

وبعدها بأربع سنوات أصدرت روايتها "أبي ارتدى الباروكة" وهي رواية مبهرة تسير في طريق واحد، مقرف جداً، تتقن السير فيه كاتبة موهوبة بامتياز، إذ تسرد في جمل مضيئة مليئة بأدوات التعجب التي يتحسسها القارئ ولا يراها! لتصل إلى نداء عظيم يطلقه الأبطال برمتهم وهم يملؤون المتن والمكان بالنغم الذي لا يصنف على نوتات الحزن أو المرح.

وفي عام 2000 أصدرت آن انرايت روايتها "أنت، ماذا تشبه؟" التي رشحت فيها لجائزة ويتبريد.

وبعدها وتحديدا في عام 2002 نشرت رواية "سرور إليزا لنتش" حيث تعود هذه الكاتبة بوجهها الطفولي الصغير وجمالها الهادئ الإنساني الذي يعرف العدسات على زواياه قبل التقاط صورة له، إلى زمن آفل أيضاً عندما تصبح الأيرلندية الجميلة إليزا لنتش سريعاً، وفي 1860 أغنى امرأة في العالم.

تسطّر الرواية حرفها الأول في باريس حيث إليزا على سريرها مع فرانسيسكو سولانو لوبيز وريث الثروة الهائلة التي تنزل عليه من براغواي.

فاكهة الكلمات في هذه الرواية استثنائية من دون أي شك، عندما تتوق إليزا لنتش إلى المال وتبحر عبر الأطلسي على الرحلة البحرية الملكية لاستدعاء مستقبلها الباذخ.

تقودنا الكاتبة في النهاية إلى واقعية سحرية معاصرة تعلو بإسراف على خيال غابريال غارسيا ماركيز وهي تصل إلى بلاده.

"سرور إليزا لنتش" رواية جريئة أنجزتها آن انرايت بثقة وحيوية وهي تزج الجنس والجمال والفساد بنهاية العالم القديم.

أما كتابها الآخر عن الأمومة فهو أحد أكثر الكتب روعة، عندما تبرع روائية بكتابة لاتخضع للتصنيف الأدبي وهي تتناول بمرح ما يشبه السيرة المفعمة بالنصائح والبدائل المقترحة لحياة أم مع أطفالها منذ ولادتهم وكيف ترضعهم وتتحمل فوضاهم المحببة عند كبرهم وتسجل سنوات مرحهم وبكائهم.

وتبدو آن انرايت في هذا الكتاب أماً بامتياز كما هي كاتبة بامتياز فتجعل الأمهات يتعاطفن معها في نهاية الأمر وهي تقترب من عالمهن بلا نزق الكاتبة وتعاليها، كتاب "تربية الأطفال الرضع: العبور إلى أمومة مرحة" لا يفقد ولعه بمرور الوقت وستحتاجه الأمهات السابقات والجديدات.

رواية الابتهاج والكآبة المطلقة

يستطيع القارئ أن يشم في راوية "الاجتماع" رائحة طعام العائلة كما يبحر في تاريخها، وهي تدور حول امرأة ايرلندية يدفعها انتحار أخيها إلى زيارة ثلاثة أجيال من تاريخ عائلتها المفككة، الأمر الذي دفع انرايت إلى القول في نصيحة مخلصة بعد نيلها الجائزة "عندما ينتقي الناس كتاباً فإنهم ربما يكونون يرغبون في اقتناء شيء يضفي عليهم السعادة، في هذه الحالة لا يتعين عليهم شراء كتابي... إنه المعادل الفكري لفيلم من أفلام هوليوود المفعمة بالعواطف".

المحرر الأدبي في جريدة الأوبزيرفر وصف هذه الرواية بأنها رواية الابتهاج والكآبة المطلقة التي تتقاطع فيها الأزمنة والأجيال والبلدان

والتواريخ، رواية أرادت أن تقول انرايت بواسطتها، ها أنا هنا كاتبة كبيرة أيها السادة.

يتجمع الأطفال التسعة الباقون على قيد الحياة لعائلة "هغري" في دبلن لصحوة أخيهم المنفلت الذي قتله الشراب في بيت جدته الذي ولد فيه، في شتاء 1968 كما أخته "فيرونيكا" لتنطلق وقائع سرد تاريخ العائلة منذ الجد الثالث لها في ملحمة تاريخية، تسلط عليها عدسة آن انرايت بعين لاترف وهي تسرد تاريخاً موازياً مشبعاً برائحة البخار الجنسي.

تقتفي الكاتبة خط الأذى وتسدد كلماتها من بندقية قلمها عبر ثلاثة أجيال من دون أن تخطأ هدفها! تبدأ مع الجدة "عايدة ميريمان" في عرض كم من الذكريات المشوهة الممزوجة بالقيح والأسرار العائلية.

إنها رواية حول الحب والإحباط، والرغبة الفاشلة والرغبة بلا حدود، وكيف مصير الإنسان مكتوب على جبينه، وليس في النجوم.

يتدفق في رواية "الإجتماع" دم أدبي جديد في الشريان الآيرلندي، يدمج حنكة الكبار بصدمة الجيل الجديد بلغة لا تنطفئ إيحاءاتها بمرور الوقت، وكما في كل عمل لآن انرايت، ثمة قصة ولا قصة، يتجاسر في هذه الرواية الذكاء والبصيرة عندما تدس قلمها وتقضم لب الكلمات وليس آليتها وتلف العالم المكسر كي تعيده إلينا في ضوء جديد وغير منسي، كما تعرض الذكريات مثل عظام بيضاء نظيفة.

إنها باختصار رواية عائلة أيرلندية بائسة بشكل متواصل ومزعوم، انتحار أحد أفرادها مدمن كحول، أب عنيف وشاذ جنسياً، أم كاهنة متعجرفة بشكل مزعج، شقيقة لا تتردد في كشف حياتها الجنسية كما هي، صحو مبكر أكثر مما ينبغي بعيون مغمضة، غائرة أقرب إلى عيون الموتى

منها إلى الأحياء، عواء حزين، إحباط متصاعد... كل ذلك يوفر الإشارة إلى عمليات الجنس البذيئة الخالية من اللذة.

الإنسان ينفث دخانه الأسود

ولدت آن انرايت في الحادي عشر من تشرين الأول (أكتوبر) عام 1962 في دبلن حيث رائحة الشوارع مفعمة بأجواء جيمس جويس، أكملت دراستها الأولية ثم الجامعية لتحصل على درجة أولية في الأدب والفلسفة من كلية الثالوث في دبلن، وعملت في بداية تخرجها لست سنوات في تلفزيون "ار تي اي" الأيرلندي، وفي عام 1993 عرفت ككاتبة محترفة بعد أن نشرت مقالاتها وقصصها القصيرة في مجلات وصحف مثل "ذي نيويوركر" و"باريس ريفيو" و"الغارديان"، وكان مقالها حول الفقدان الغامض للطفلة البريطانية "مادلين مكن" في البرتغال، الأكثر أذى وجدية بما يحمله من تساؤلات، هي الأم الناجحة التي كتبت عن الأمومة بإخلاص مثل إخلاصها للغتها.

ترى آن انرايت الإنسان في أزمة متفاقمة وتشبهه بالسيارة العتيقة التي لا تمشي مسافة قصيرة حتى تتوقف وينفث العادم دخانه الأسود "إن العادم يطلق دخانه الأسود بشكل دائم من خلف الإنسان اليوم".

الملحمة التاريخية للعائلة الايرلندية في رواية "الإجتماع" جعلت آن انرايت تفترض بأن عليها الذهاب أبعد من ذلك للغور في التفاصيل القاسية، تقول "إنها وظيفتي ضمن المشهد الايرلندي لتسليط مرآة الكتابة على الحقائق وجعلها تنعكس بأي طريقة كانت".

تجفل انرايت من فكرة الإهمال الأدبي لموضوع العائلة، خصوصاً لدى

الكاتبات، فلا يجدر بهن حسب رأيها الكتابة من أجل نيل جائزة أورونج المخصصة حصرا لأعمال الروائيات دون الرجال والتركيز على موضوع شائع بعينة.

وتذهب أبعد من ذلك عندما تقول "أنا مستعدة لأن أفترض بأن جيمس جويس كان امرأة لأصل إلى الحرية التي أنشدها في الكتابة، أطير بعيداً في القصة، أنا يمكن أن أذهب إلى أي مكان وأقول أي شئ".

تبدو الشقيقة فيرونيكا في رواية "الاجتماع" التي ولدت في بيت جدتها كأخيها المدمن على الكحول المنتحر، صريحة جداً حول حياتها الجنسية وتفاصيل عضوها، تروي المداعبات التي مرت بها قبل الزواج ثم اقترانها بزوج خامل وضعيف جنسياً، الأمر الذي دفع المحرر الأدبي لصحيفة الغارديان إلى التساؤل عما إذا سبب ذلك ردود فعل سلبية غير متوقعة لآن انرايت؟

تضحك انرايت وهي تتذكر أن سيدة ضربتها بحقيبتها في سبيل المداعبة حول هذه الصراحة الجنسية، تقول "كانت لطيفة هذه السيدة، لكنني لا أتردد من تحذير القراء الآخرين بأن المادة الجنسية أقوى مما يتوقعون، ربما تسبب لهم ضرراً جنسياً، مع ذلك أنا أكتب عمن التقيتهم وكانوا واضحين جداً في سرد تجاربهم الجنسية من دون أن تنسى أنني متزوجة منذ سنوات، والنتيجة في النهاية من تخطيطي أنا وإن كانت غير سارة، على لغتي أن تكون صادقة وهي تسرد المشاهد الحميمة أو البذيئة جنسياً".

أرادت آن انرايت في هذه الرواية أن تقطع فكرة أن الأم الايرلندية ليست رائعة على الدوام حتى وإن انجبت 17 ولداً وحافظت على نظافة البيت كالزبدة، فتجربة الابنة فيرونيكا هشة وحزينة ومشوشة من احتساء

النبيذ، تخفي اشمئزازها من أمها، تعلن على الدوام غضبها بسبب غيابها، مع ذلك ترى انرايت أن العائلة في ايرلندا ما زالت وحدة متماسكة جداً ومتآزرة كثيراً، إلا ان عائلة هذه الرواية معطلة وافتراضية، خصوصاً بعد موت أحدهم؟ هم جميعاً يتقدمون، لكن لا أحد يمكن أن يترك أبداً عائلته في أيرلندا.

رواة عديمو الثقة

تصف انرايت شخوص روايتها بأنهم ليسوا مثاليين ونبلاء "ثمة قراء يرفعون من شأن الكتاب يثقون بحدس في أبطاله لأنهم يعتقدون بقراءة عن شخص جيد، إلا أن شخوص رواياتي يكسرون هذا الاعتقاد لأنهم رواة عديمو الثقة، لكن أنا لا أعتقد هم حقودون جدا".

أعطى التشابه في العمر بين الكاتبة وبطلة روايتها بعض القراء الحق في افتراض أن انرايت تسرد تجربة شخصية، إلا أنها تقول "لا يمكن للكاتب ان يفعل ذلك لأنه لا يستطيع، ثمة مخاوف من هذه المقاربة بين الكاتب وأبطال كتبه، لكنني أجمع هذه المخاوف وأضعها في صندوق مقفل وأرميه تحت سرير نومي، حسناً أنه مجرد كتاب، رواية، أما حياتي الخاصة فإنها تسير على أكثر مما يرام".

وعند سؤالها عن قائمة الروايات الأخرى التي كانت مرشحة مع روايتها وعما إذا كانت قد قرأتهن جميعا قالت انرايت "أنها تنظر إلى تلك الروايات كبضاعة في حانوت وأن لديها حالياً ستة أسابيع من المرح، لن تجلس وتمارس قلقها المعتاد، لقد أنهيت مقالة للتو وكتبت قصتين قصيرتين قد تساعداني على ابتكار موضوع رواياتي القادمة".

لقد نامت آن رايت أربع ساعات فقط خلال يومين من إعلان فوزها بالجائزة وتلقت تهنئة الرئيس الأيرلندي وأنها تطمح لتكون اسماً وطنياً في بلادها والمعادل الأدبي للرياضية سونيا اوسولفيان التي حققت انجازات رائعة في الساحة والميدان منتصف التسعينيات من القرن الماضي. أما عن ردة فعل زوجها فتقول "إنه راهن على فوزي بخمسة عشر يورو وفاز بمبلغ جيد ولديّ صديق آخر يحبني راهن على مرشح آخر خشية أن يجلب لي النحس".

أليسون كينيدي... فرجينيا وولف معاصرة

كثيرون جداً لا يخفون تذمرهم من طعم قهوة كوستا، إنها لا تشرب كما القهوة الفرنسية مثلاً! لكنهم في الغالب يفضلون ارتياد هذه المقاهي المنتشرة في الجادات والمراكز التجارية والشوارع البريطانية منذ عام 1971، ليس للاستمتاع بقهوتها الحديثة أكثر مما ينبغي، بل للمطالعة والعمل على الكمبيوتر المحمول بخدمة الانترنت اللاسلكي التي توفره هذه المقاهي، والأهم من كل ذلك ما توفره إدارة هذه المؤسسة من دعم أدبي عبر جائزتها السنوية التي تمنح لأفضل الكتب المنشورة في المملكة المتحدة وايرلندا في الرواية والشعر والسيرة الذاتية وقصص الأطفال.

وفي حفل أضيء بأنوار أحد اشهر الفنادق البريطانية في العاصمة لندن نالت الكاتبة الاسكتلندية أليسون كينيدي جائزة الرواية عن روايتها المعنونة "يوم" وقيمتها 25 ألف جنيه استرليني "رواية كوستا للعام".

أفضل الكتب

تأسست مقاهي كوستا من قبل الأخوين الإيطاليين سيرجيو وبرونو كوستا في عام 1971 في المملكة المتحدة لتنتشر بعدها في دول أخرى ولديها أكاديمية للقهوة لفحص منتوجاتها، وفي محاولة لتشجيع القراءة تعلن عن جائزتها السنوية التي تعد من أشهر الجوائز الأدبية المعروفة في بريطانيا.

لم تكشف أليسون كينيدي القادمة على عجل من رحلة عمل إلى الولايات المتحدة لتسلم الجائزة، علاقتها بطعم قهوة كوستا، ولم يكن من الصحفيين من يجرؤ على إطلاق مثل هذا السؤال لوضعها في الفخ، بقدر ما أثارت الاهتمام بموضوع قائم منذ سنوات عبر روايتها التي تعود إلى الحرب العالمية الثانية، فيما الحرب على بلاد النهرين لم تنته بعد.

قضت كينيدي يومين في الطيران لتصل إلى لندن فبدت ملامحها متعبة وهي تتسلم الجائزة التي فتحت لها أفقاً في الكتابة والشهرة معاً.

تتحدث روايتها "يوم" عن الإشكالات التي جرت أثناء الحرب العالمية الثانية في إحدى القاذفات، والظروف التي مر بها الأسير البريطاني في ألمانيا "الفريد دي" الذي يواجه صعوبة التكيّف مع عالم جديد في معسكر للأسرى عام 1949 فيما يتأجج الحنين لديه لحبيبته التي تعرّف عليها للتو وتركها ذاهباً إلى الحرب، ولا يرى أي علامة واضحة عن المستقبل، إنه واقع تحت ضغط كآبة سريرية الأمر الذي يفسر قدرة الكاتبة على سرد تعبيرية المشاعر بلغة معاصرة فيما تعود بسردها إلى سنوات متأججة، وكأن روايتها ردة فعل على الحرب التي شنت على العراق.

تقول كينيدي التي نشرت أربعة كتب من قبل في القصة القصيرة والرواية والمسرح وهي فنانة كوميدية ساخرة وصحفية، وأستاذة مساعدة في جامعة واريك حالياً "نحن الآن نخوض حرباً ذات معايير أخرى لكنها لا تملك حتى المقومات الأخلاقية التي تدفع بنا لإنفاق الكميات الكبيرة من المال التي أنفقت عليها، بينما النظام الصحي القومي، وقطاع التعليم ينهاران".

ووصفت لجنة التحكيم الرواية بأنها فعل استثنائي في قدرة الكاتبة على التكلم من قلبها وليس من لسانها، تصفُ حياة صغيرة حطمتها الحرب بامتياز وتعبيرية تجعل الكلمات لها مكنون المشاعر. رواية "يوم" قطعة نادرة حسب وصف لجنة التحكيم.

فيما قال موزع الرواية جوناثان روبين "إن فوز كينيدي بمثابة إعتراف وإن جاء متأخرا طويلاً لإحدى مواهب اسكتلندا البارزة".

مصدر في موقع بيع الكتب على الانترنت "الأمازون" توقع أن يرتفع طلب رواية "يوم" إلى سبعة أضعاف ما يطلب من هذه الرواية قبل إعلان الجائزة، مؤكدا أن أمازون قد ضمت أليسون كينيدي إلى قائمة أهم الكتاب البريطانيين.

العيش في بيت الكتب

التقطت كينيدي أنفاسها بعد تسلمها قيمة صك بمبلغ 25 ألف جنيه إسترليني وهي ترد على أسئلة الصحفيين العجولة والآنية التي غالباً لا تدخل في العمق، وقالت إنها في لندن الآن لكنها تعيش الوقت في الجانب الآخر من الكرة الأرضية فهي بجسدها لم تغادر بعد التوقيت الأميركي لأنها جاءت على عجل من الولايات المتحدة ليلة أمس بعد إبلاغها بحفل توزيع الجوائز، البهجة وتعب السفر يختلطان عندي "لم أنم منذ ليلتين" وعليّ أن أعود إلى نيويورك غداً.

عاشت أليسون كينيدي في منزل يضيق بالكتب لذا تصف نفسها بالمحظوظة، إنها تعلمت القراءة والكتابة من أمها المعلمة في مدرسة المنطقة الابتدائية ولم يكن عمرها آنذاك قد تجاوز أربع سنوات، تقول "أنا محظوظة لأنني قرأت كثيراً واخترت طريق الأدب، أنه بالنسبة لي يختلف تماماً عن وصف رولاند بارت بأنه فن الخيبة!

الأدب ليس كذلك، واللغة منحتني السعادة، كانت توفر لي كل ما أوده عبر الخيال واختلاق القصص في الكتابة أو أحلام اليقظة".

أكملت كينيدي دراستها الأكاديمية في الأدب والمسرح وعملت في أول الأمر صحفية ثم ممثلة كوميدية، وهي الآن محاضرة جامعية، إضافة إلى

أنها تكتب بين حين وآخر عموداً أدبياً في الصحف البريطانية، وروايتها الرابعة "يوم" قد وضعتها على طريق كانت تنتظره منذ أن علمتها أمها المعلمة أصوات الحروف.

ومع كل هذه المهام تجد أليسون كينيدي أن ثمة ساعات مضافة في اليوم نفسه للكتابة والتفكير بشكل هادئ، لا تخفي سعادتها بالحياة مثلما لا تخفي مرحها بالحوارات مع طلبتها في الجامعة حول طرق تعلم الكتابة وتوظيف اللغة لتعبر عن روح الكلمات وليس آليتها، وتحاول أن تساعدهم ليجد كل منهم طريقه للكتابة بطريقة مستقلة من دون تأثيرات المشاهير من الكتاب وإنتاج ماهو مختلف قليلاً.

أما كيف تقبّل طلابها في الجامعة رواية "يوم"، قالت "إنهم كانوا لطفاء جداً ورحماء مع الرواية أكثر مما ينبغي، لم يقسوا عليها بالنقد، كما أنهم أول من هنأني بعدما منحتني جامعة غلاسكو درجة الدكتوراه الفخرية في الأدب".

تتذكر ذلك اليوم القريب وتقول "إن الجامعة أعادتني إلى سنوات مراهقتي عندما لبست عباءة التخرج مثل هاري بوتر لانني لم أذهب أصلا إلى حفل تخرجي أيام الجامعة آنذاك، لقد كان يوماً رائعاً عندما يعود الإنسان إلى الدراسة وهو في وعي يختلف تماماً عن أيام المراهقة".

رسائل متدفقة

تتدفق في رواية "يوم" حزمة من الرسائل تطلقها كينيدي الاسكتلندية بإخلاص لبريطانيتها عندما تقارن بين جنود ذهبوا إلى الحرب من أجل وطنهم آنذاك، وبين الحرب التي يخوضها الجنود البريطانيون في بلاد

النهرين اليوم، ثمة ما هو مختلف كلياً، لماذا نحن في العراق، ألم يكن الأمر كله يسير تحت مسوغات أكاذيب متصاعدة ومستمرة.

تعتقد كينيدي أن الحزن يلف الأصدقاء تجاه الأم التي تفقد ابنها الجندي في العراق من أجل لا شيء، لكنه غير الحزن أيام الحرب العالمية الثانية عندما كانت العوائل البريطانية تعتني ببعضها بعضاً بعد الحرب، كما تتحرك روايتها الفائزة بتلك الأجواء الماضية.

وعندما سألها المراسل الثقافي لهيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" بصفتها كاتبة أولا وأستاذة جامعية عن النصيحة التي تقدمها للكتّاب الشبابِ الطموحين لتطوير أدواتهم قالت "نعم عليهم بالكتابة، أكتب ثم أكتب، ليس من الضروري أن تحصل على المال قبل الكتابة أو تدفع مالاً كي تتعلم الكتابة، كما ليس من الحكمة أن تستمر بما لا تريده، طريق الكتابة ستطرقه بنفسك وستعلّم نفسك بنفسك".

بدت نصائح أليسون كينيدي مفرطة بالثقة وهذا ما يدفع النقاد إلى العودة إلى واحد من أجوبتها عندما قالت إنها عاشت وحدة هائلة على مدى 17 عاماً، وكانت تمارس الحب مرة كل خمس سنوات، فلم تبدو حياتها الماضية مريحة مع أنها كانت تفلسف الأشياء، القراءة علمتها الكتابة، لذلك تنصح الشباب بتعلم الكتابة بأنفسهم.

لا يجد من يعرف أليسون كينيدي سبباً واقعياً عن اتجاهها إلى التمثيل الكوميدي على المسرح مع أنها تكتب عن أشياء مختلفة، ملامحها تعطي دفقة للرائي بأنها امرأة جدية وجمالها الاسكتلندي يكمن في عينيها الملونتين، تقترب من هيئة شاب وتتقصد بانتقاء ملابسها لتأكيد هذا الأمر، تعترف بحياتها الحزينة وتتجه إلى الكوميديا!

لا تفضل أن تكتب اسمها الأول كاملا "أليسون لويز" وتكتفي بالحرفين "جي كي" وهو أمر يبعث على التساؤلات، لا تزعم أنها كانت رجلاً مع أنها مؤمنة بمساواة الجنسين وهي ليست سحاقية كما تقول، لكنها قد تتشبه بتاريخ مر عليها وبكم هائل من القراءة، ففي كل زمن ثمة فرجينيا وولف من نوع مختلف بالحزن!

ولدت أليسون كينيدي في اسكتلندا في 22 تشرين الأول (أكتوبر) 1965. ودرست اللغة الإنكليزية والدراما المسرحية في جامعة وارويك حيث بدأت أنذاك بكتابة مناجاة مثيرة وحزينة عن حياتها وما تفكر به ثم مجموعة من القصص القصيرة نالت على إثرها جائزة محلية.

عملت بعد التخرج في دائرة خيرية لتعليمِ أصحاب الاحتياجات الخاصة التمثيل.

ومنذ عام 1989 إلى عام 1995 كانت تكتب من منزلها وتنشر نتاجها في المجلات الاسكتلندية إلى أن وجدت عملا في إحدى جامعات كوبنهاكن لكنها لم تمكث طويلا وعادت إلى بلدها ثانية لتدير قوس حياتها هذه المرة بثقة أكبر وتنشر كتاباتها في الصحف الكبرى كالغارديان حيث نالت جائزة مسابقة القصة فيها عام 2001 وأختيرت بعدها في زمالة الجمعية الملكية للفنون.

مجموعتها القصصية الأولى "قطارات كارسكادين" التي صدرت عام 1990 كانت تنضح بالحزن والأجواء الكئيبة، وصدرت روايتها الأولى "بحث عن مرقص محتمل" عام 1993 ثم مجموعتها القصصية "الآن أنك خلفي" التي صدرت عام 1994 وروايتها الثانية "Original Bliss" التي تتناول بتدفق سريع لكنه هادئ ومؤذ، علاقات فتاة اسكتلندية مع أبيها وحبيبها

ومديرها في العمل، عندما تبرع في ربط حبكة هذه العلاقات بخيط واحد لا يفلت لا منها ولا من قارئها.

هذه الرواية التي كتبت بمنطق شاعري، صارم ورنان تخلّف كل الاعتذارات خلفها، كانت أشبه بتحد لأليسون كينيدي في إثبات قدرتها بالسيطرة على أدواتها الروائية، وحصلت عليها فيما بعد على جائزة أفضل الروائيين الشباب في بريطانيا.

نشرت هذه الرواية على شكل قصة قصيرة في مجموعتها القصصية الثانية لكنها اكتشفت فيما بعد أنها مشروع رواية فأعادت كتابتها بعد أن تحسست العمق الحقيقي الكامن في الأحداث، إنها تتعرض لربة بيت في مدينة غلاسكو وما تواجهه من عنف جسدي بسبب إدمانها للخلاعة، فتتغلب الكاتبة كينيدي على المتعة الميلودرامية في سرد الأحداث إلى جانب أكثر حسية في كيان هيلين بطلة الرواية.

لا تفكر أليسون كينيدي في القراء في روايتها التي كتبتها قبل أن تكتبها، فقد كان لها دور المستوحي من قصة سابقة منشورة لها، النهاية السعيدة للرواية لا تعني أكثر من نهاية، لأن المتن يضج بالألم والخلاعة المشوقة أو البذئية.

ليونيل شريفر ... روائية تهشم الأمومة

نالت الروائية الأميركية ليونيل شريفر جائزة أورانج البريطانية عن روايتها المثيرة للجدل "نحتاج للحديث بشأن كيفين" التي تعالج مشاعر امرأة عاملة تقرر أن تصبح أماً فحسب لتكتشف أنها لا تحب إبنها "كيفين" وتلقي عليه باللوم في فقدان عملها وإفساد زواج ناجح.

وعندما يبلغ كيفين السادسة عشرة من العمر يقتل تسعة أشخاص في مذبحة بمدرسة ثانوية.

وقيمة الجائزة لا تقدر بمبلغها "54 ألف دولار" بل بما ينتظرها من أرباح مبيعات كتبها.

وكالعادة أثار إعلان الجائزة أسئلة بشأن "عنصرية" النقد الرجالي حيال جائزة تخصص للكاتبات اللواتي يكتبن بالإنكليزية والمطالبة بمعادل للجائزة تمنح للرجال أيضاً! "تأّمل أن أسم الكاتبة الفائزة ليونيل يطلق على الرجال"! وبعضهم لم يخف تذمره من أن تحصل عليها كاتبة أميركية فيما كان ينتظر أن تنالها روائية إنكليزية من بين المنافسات لشريفر وهن ثلاث بريطانيات من بين ست رشحن للجائزة، إلا أن رئيسة لجنة تحكيم الجائزة جيني موراي الصحفية والمذيعة بهيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" وصفت رواية ليونيل شريفر بالجريئة جداً "ثمة خوف يتلبس أم من إرهاب ولدها، فأي نوع من الأطفال هذا الذي قد يجلب إلى العالم الموت كما فعل كيفين؟".

أما كايت موسي المديرة الفخرية للجائزة النسائية التي تمنحها سنوياً شركة أورانج للهاتف النقال فقالت "هناك موضوع هائل ومهم في الرواية لم تتناوله رواية سابقة، هكذا نستطيع أن نقول نحن قادرون على أن ننتحي جانبا آخر في الكتابة".

ليونيل شريفر كانت أكثر المحظوظين هكذا قالت وهي تقبل جائزتها لروايتها السابعة في رواق بولتمان وسط العاصمة لندن "أردت أن أفجّر أسطورة أن الأم تحب ابنها من دون شرط وتحت أي ظرف، فليس دائما القرد بعين أمه غزال!".

وكانت قد رشحت الروائية الإنكليزية جين جاردام وأربع مرشحات أخريات هن جولز دينبي عن رواية شاعرية تسيطر على أحداثها عصابة شيطانية، ومارينا لويكا عن رواية تتبع إحباط فتاتين يرين أبيهن المسن قد أغويّ من قبل شابّة شهوانية من أوكرانيا طمعاً بماله والحصول على جواز السفر البريطاني، وشيري هولمان الروائية الأميركية التي كتبت عن سقوط مشاعر تجار الإعلان في الحضيض عندما يحولون حكاية امرأة تلد أحد عشر طفلا إلى حملة إعلانية يجنون من ورائها الأرباح، ثم مايل ميلوي.

امرأة تغير أسمها إلى رجل

ولدت ليونيل شريفر في الولايات المتّحدة عام 1957 وعاشت في نيروبي وبانكوك وبلفاست، أكملت دراستها في جامعة كولومبيا وهي متزوّجة من عازف في فرقة جاز وتعيش معه حاليا بين لندن ونيويورك.

أصدرت ست روايات قبل "نحتاج للحديث بشأن كيفين" يتوزع أبطالها بين إناث من المجرمات أو المحترمات وأحياناً العاديات.

وكانت شريفر قد غيّرت أسمها الأول من مارغريت آن إلى ليونيل وهي في سن الخامسة عشرة من عمرها، لأنها كانت تعتقد أن الرجال يتمتعون بحياة أسهل، إلا أنها اكتشفت بعد كل تلك السنين من تغيير أنوثة اسمها إلى رجل، أن خوفها على أنوثتها غير مسوغ، فبدأت تنتقي ملابس غاية في الأنوثة، تنورات قصيرة وقمصان شفافة.

في هذه الرواية التي نالت عليها جائزتها الأولى في حياتها الأدبية يندهش القارئ بلغة رسائل بين زوجين متباعدين لا تحمل الشوق التقليدي الذي غالباً ما تتضمنه الرسائل، بل تسرد جريمة ابنهما الذي ينفذ مذبحة في مدرسة ويقتل ثلاثة عشر شخصاً بينهم سبعة من زملائه، فتكتب بجرأة عن كرهها له وتفضل ألا تكون قد ولدته أصلاً، وهي رواية أثارت جدلاً بين الكثير من الناشرين في الولايات المتحدة وبريطانيا فبعضهم فضّل ألا يمسها أو يتعامل معها، بالطبع سيشعر التجار منهم اليوم بالندم كونها ستجني أموالا طائلة بعد فوزها بالجائزة. "حولت الرواية إلى فيلم لاحقا وحصل على عدة جوائز من بينها جائزة من مهرجان أبوظبي السينمائي".

أرادت شريفر في هذا العمل الأدبي أن تفجر حسب قولها الأسطورة التي تقول أن كلّ أمّ تحب طفلها دون شرط "الفكرة ليس أساسها عن حب أم لطفلها على حساب تخويف الناس، بل أردت الكتابة عن امرأة لا تواجه أمومة كما هي مفترضة، لأن الكثير من الآباء لديهم مشاكل مع أبنائهم ويمرون بوقت لا يحبونهم فيه، قد تكون هذه الحالة متطرّفة لكنها موجودة".

بالطبع لا تخفي ليونيل شريفر سعادتها بالجائزة "البرتقالية" في دورتها العاشرة لأنها جاءت بعد كفاح من أجل الاعتراف بسنوات تعاملها مع أسطرة الجمل وإيقاد الخيال والولع بالكتابة من دون أن تكون قلقة حول شهرة كتبها وما ستدر عليها من أموال.

من الواضح أنّ الرواية الفائزة جدالية بلا أدنى شك، ليس فقط لأن العنف في قلب متنها، بل لأنها تتعامل مع ازدواجية أمّ متجذّرة نحو ابنها، إلا أن هذه الجائزة حسب المعلق الأدبي في صحيفة "الغارديان" من بين ثلاث جوائز أدبية ستبقى تحتفظ بقوتها وأن كانت نتيجتها كل عام ترفع ضغط دم متابعينها!

النساء يكتبن أكثر من نصف ما ينشر

ثمة حقيقة هنا في بريطانيا أن النساء ينشرن 70 في المئة تقريباً من الروايات في بريطانيا، إلا أن جوان هاريس لا تتوانى بالقول "سنة بعد أخرى تمتلئ قائمة نصوص الكتب لبواكير رجال عجائز في الغالب".

من الناحية الأخرى ثمة آراء لا تغادر ضيق أفقها وأن أقرت، أن كتابة النساء تستحق أن تخصص لها جائزتها، لكنها تطالب بمعادل لجائزة مشابهة للرجال من الكتاب، لهذا السبب ينتقد المعلق الصحفي جون والش الجائزة بقوله "هناك تنازل من أجل لا شيء سوى الإيمان بفكرة بأنّ هناك قصة للنساء" ويقول أيضاً "هو تعصب متطرّف بالطريقة نفسها التي أثارت الغضب عندما بدأ المؤلفان توبي ليت وعلي سميث التعريف بالإنشغالات الأدبية النسائية في دراسة ثلاث عشرة مجموعة شعرية وقصصية ومقتطفات لمقالات وصفت معظم كتابات النساء بالمحلية بشكل مخيّب للآمال. كما لو أنّ الكثير من النساء الكاتبات حقنّ بمخدّر يبقيهن بليدات كي يبقين على تكرار قول الشيء الصحيح، ويستمررن بتكراره لأنه صحيح".

هذا الرأي الاستفزازي دفع كايت موسي المديرة الفخرية لجائزة الأورانج بالقول "لقد أجتهدنا بالبحث على صوت قصصي محايد من دون أن نهتم بالاثارة، من المعقول أن يكون الصوت الأدبي غالباً ما يميل إلى أن يكون مذكراً، وهذا لا يعني أن يحجز الرجال الكتابة للرجال، والنساء يكتبن الكتب للنساء الأخريات" تتساءل أيضاً "لماذا هذه الإنشغالات المحلية؟".

وسط هذا الجدال الشخصي يتوارى الحوار النقدي عن مدلولات جائزة الأورانج التي يفترض أن يروّج لها كجائزة أدبية ما عدا الاهتمام

الإعلامي، كايت موسي متلهّفة للإشارة للبيانات عن عدد قراء الروايات التي سبق وأن حصلت على الجائزة والأموال التي توفرها مبيعات الكتب التي بدأت تستثمر في تمويل البحث الأدبي والمشاريع التربوية، وتقول "بنيت هذه المؤسسة القوية خلال العقد الماضي وبعد عشر سنوات أصبحت جائزة مهمة، وربما تكمن أهميتها في الترويج للكتب التي قد لا تستقطب القارئ لسبب ما فترفع مبيعاتها".

وتعتقد كايت بأنّ جائزة الأورانج متفردة بنوعيتها من دون أن تبدي أي اهتمام بجنس المؤلفة التي سترشح لأنها أنثى فقط، على أية حال، هي لا تنكر بأنّ النقاش المستمر على طبيعة الجنس المعيّن للجائزة تعجّل أهدافها، فتقول "أعتقد الكتابة العظيمة فوق الجنس، مراجعة وتسويق ونشر وتوقّعات".

رواية ذات أثر رجعي

رواية ليونيل شريفر ذو أثر رجعي من حياة أم وابنها حيث تعود إلى ما بعد اليوم الذي ذهب به إلى مدرسته العليا وبدأ بضرب زملائه، تصفها الناقدة سوزي هاسن "رواية تعلمنا كيف نصبح طيبي القلب مثيرين، وقصة مثيرة موثوقة جدا تتناول مشاعر الأمومة والاحتمال بازدواجيتها حول التربية وكيف تؤثر في النمو وتطوير وعي ومدارك الطفل، تذكّر أمه الصادق بشكل قاس والذكي في أغلب الأحيان عن علاقتها مع فرانكلين، قرارها المعذّب للاستسلام لحياة سفر الأمومة، وسنواتها المؤلمة، الأم توجه السؤال المربك بحق: هل أنا مسؤولة عما يفعله طفلي أيضاً؟".

في هذا الحوار تكشف الروائية الأميركية ليونيل شريفر إحساسها

بنصها قبل أن تنال الجائزة عنه مما يجعله ذا أهمية للمتابع عند قراءة الرواية لاحقاً للتخلص من وطأة أنها رواية جائزة، تجيب على أسئلة المحاور روبرت برينبوم بثقة كاتبة بعملها.

= عندما كتبت هذه الرواية "نحتاج للحديث بشأن كيفين" هل غامرك إحساس ما بأنك تمرين بحقل ألغام؟

– بالتأكيد عرفت بأنني سأخاطب موضوعاً جوهرياً وخاصاً عن امرأة لا تحب ابنها، لكنني لا أعتقد أن ذلك حقل ألغام بقدر ما أعتقد بأنه منجم، جوهر الفكرة ستجعل شخص الرواية الرئيس يبدو غير جذاب إلى أكثر القرّاء، أعتقد أن الرابطة بين الأمّ والابن منيعة إلى الحد الذي لا يمكن اختراقها، أقول هذا الكلام مع أنني ابنة ثقافة غربية لأنها أقل في افتراض شروطها العائلية، نعم كنت أفترض شروطي وأضع أدواتي الروائية على الأم، لكن أي أمّ كانت ستلتقط هذا الشخص لكي يكون ابنها ستكون صادقة بما فيه الكفاية كي تعترف لنفسها بمشاعرها تجاه شروره، والطريق الرئيس الذي تقدمت فيه هو تحويل أقصى طاقتي لإظهار مشاعر الكره في وجه الأم تجاه أبنها.

= أكاد أجادل بأنّ هناك أكثر من لغم واحد في هذا الرواية؟

– أوه... نعم، ثم هناك العمل الجماعي لمشاعر قوية لأناس آخرين، كما في النهاية أحاول أن أحصل على العطف لأمّ القاتل، وليس لأمّ شخص مقتول فمن الطبيعي أن يتملك المرء العطف تجاهها لأنها فقدت طفلها، لكن الصعوبة تكمن في استحصال العطف لشخص ابنه قاتل ومشبوه، وتلك مادة بحث صعبة للغاية.

= يمكن أن ندرج مجموعة من الروايات التي تعالج الأمور السيئة التي

حصلت للأطفال، لكننا بالتأكيد لا نتخلص من وطأة السؤال كيف يمكن للكاتب أن يضع نفسه في مكان شخوصه لتخيّل وكتابة مثل هذا القصّة، فهل حدث أن مررت بما مرت به ايفا؟

– نعم كان الأمر صعباً لأنه ليس لديّ أطفال أصلاً وهو أمر جزئي، ولا شيء ما عدا ذلك، يمكن التقليب فيه حول تجربتي الخاصة وعلاقتها في الرواية، كنت أفكر بشأن منظور والدي الخاص وكنت متوترة حول ذلك وبعدها عرفت بأن الآباء الحقيقيين كانوا يسعون للوصول إلى كنز التجربة الدفين وتعليم أولادهم ما صعب عليهم أن يتعلموه في وقتهم، هذه التجربة جعلتني أستنتج كيف تقبلت هذه الجرعة المريرة، كان أمراً واقعياً جداً الحديث مع أكثر من قارئ لإضافة ماهو غير مألوف في سيرتي الذاتية، أعتقد بأنني كنت أمّاً في هذه الرواية، وحققت خدعة سحرية واثقة في عملية الكتابة، ولأنني أحترم التجربة الأصلية وأكره الحيل لذا كان لا بدّ أن أحاول حسب قدرتي أن أتخيّل مثل ما كان قد حصل في الرواية والأهم منه ما سيحصل لشخص مثلي عندما أكون في موضع ما، أماً يصبح أبنها قاتلاً.

تلك كانت إحدى أهداف الرواية، في ذلك الوقت كنت أتصارع مع فكرة أن أكون أو لا أكون أماً لأنني كنت أتقدم في السنّ، كان عندي تحفّظات عميقة حول الفكرة والمطلوب مني حلها على الورق، تملكني إحساس شخصي يهدد بالضياع مما جعلني أعتقد بصعوبة ما أقدم علية على الورق.

الخسائر العاطفية للكتابة

= إذا وضعنا جانباً السمات الشخصية لكتابة هذه الرواية، هل يمكن أن تحدث أشياء مروّعة في هذا الكتاب، هل يأخذ ذلك عدد الخسائر العاطفية مثلا؟

– من بين بعض الخسائر العاطفية يمكن إدراج وطأة ثقل الكتابة لأنني كنت غالبا ما أعود للوراء لخوفي من أن تفلت بعض المشاهد من سيطرتي وصعوبة تقنية ترويض الشخوص الصعبة، ثم كان عليّ أن أخاطب تجربة ليس لديّ الكثير مما أعرفه عنها، لذلك كنت مسرورة بإنهاء الرواية لأنني أدركت بأن شخوصها يجهدون قدراتي ويتعبون أدواتي الروائية، وعدت لقرائتها ثانية كي أدقق في البراهين لأكتشف أحيانا ماهو مضحك، إلى حدّ ما يمكنني القول ثمة مرح كافٍ في هذا الكتاب.

= بينما كنت تكتبين هل عشتِ أجواء النص كل يوم في سمائك الصغيرة الخاصة أو جحيمك، اعتماداً على ما تكتبين، هل كنت مثل نائمة وتحلم بخيوط الرواية؟

– من المستغرب، أن كتابة مثل هذه الرواية تجعلك تصاب بالعزلة لأنك تعيش مع هذه المادة كل يوم، قد تتكلم قليلاً إلى شخص... اثنين، لكنهم وفق أفضل الأحوال لا يقطعون فاصل تلك العزلة. نعم كنت أعيش في سمائي الصغيرة الخاصة أو جحيمي اعتماداً على ما أكتب، قد أنام أو أحلم في محاولة للخروج من العزلة والعيش بواقع عقلاني لكنني سرعان ما أعود إلى صلتي بشخوصي الروائية لإرضاء خيالي والتعامل معهم كما لو كانوا حقيقيين، لا شك أنني أدرك التعقيدات التي تتملك بعض الناس وتدفعهم للسؤال عن كوني امرأة بمشاعر غير سوية تخالف عما هو شائع، لكنني مسرورة أيضاً أن أكون قادرة على الوصول إلى هذه المساحة المؤثرة في الكتابة، أعتقد أن "نحتاج للحديث بشأن كيفين" رواية مؤثرة في واقعنا اليوم.

= هل تعتقدين ذلك؟

– وأنت ألا تعتقد بذلك؟

= أفهم بأن الأسابيع الستة الأولى من توزيع الكتاب ستكون حاسمة في تسويقه، بالطبع هناك كتب تبقى خمسين عاماً تتصدر واجهات المكتبات، فهل أنت واثقة من بيع كتابك؟

– تلك مشكلة أن تحدد ستة أسابيع لأنها مدة قصيرة جداً، أعتقد أن نجاح الكتاب يكمن عندما تجد من يتحدث معك عنه، أنا لست ضجرة من أن أعرف تأثير كتابي على القارئ، تماما مثلما أنا سعيدة في الحديث معك.

= مشاهد إطلاق النار في المدرسة كتبت وكأن قائمة شاملة عن أحداث العنف كانت أمامك، هل كانت بالنسبة لك أشبه برسالة تذكير حول الموت؟

– عندما يستفيق المرء من هول الفواجع يتذكر أسماء البلدان والضحايا، تدرك معي حادثة إطلاق النار المشهورة في الميسيسيبي، وعملياً عشت تلك الظاهرة إبان إقامتي في ايرلندا الشمالية أثني عشر عاما، في بلدة اينيسكيلان ما زال النصب التذكاري قائماً لتخليد أرواح أثني عشر مدنياً قتلوا في تفجير نفذه الجيش الجمهوري الايرلندي عام 1987 حيث كنت هناك وأشعر إلى اليوم بالأسى على تلك الواقعة.

= السؤال المهم عن منظورك للأم كيف ستبدو في تلك الأحداث المثقلة بالحساسية؟

– تبدو كما هي تصف نفسها في الرواية، هناك بعض القرّاء يحبون أن يسرد الراوي كل شيء ويحدد ماهو خطأ، لا أفضل ذلك لأنها طريقة بدائية في الكتابة، لكن دعنا نسأل عما حدث للطفل، يمكن أن تقول أنه كان فظيعاً

ومشوهاً، إلا أنه عندما تبدأ بالتفكير بموضوعية بما فعله سيتراجع عن ذلك، خذ ما فعله بزميلة له مصابة بداء الأكزما حيث لا يتوانى بخدش جلدها في الحمام، ماذا يعني ذلك؟ أن طفلاً بعمر ست سنوات يتسبب بأذى هائل لا يتوافق مع عمره، من أجل ذلك تحاول الأم أن تحجب عن عينيها في بداية الأمر شرور طفلها. إن العلاقة هنا لا تنتهي أبداً بين الأم التي أرضعته من صدرها بل تحمل من الألم ما لا تطيقه الأمومة برقتها وعطفها المعهودين، ولن تكتفي بأنها لن تحبه فقط بل ستشعر أنه ضد الحياة، أيضا سلوكه حال بينها وبين زوجها وكأنه ليس طفلهما فتشعر بالمذلة كونها أنجبته.

= هذا الكتاب سيدق إسفين بين العوائل التي تمتلك أطفالا وبين التي لم يتسن لها الإنجاب، ومن حق البعض أن يقول لك كيف منحتِ لنفسك صلاحية التحدث باسمهم كونك لم تعيشي تجربة الأمومة؟

– هذا الكلام مضحك كما لو أننا نعامل الأطفال كنظائر مشعة، أدرك أولاً الضعف في نفسي تجاه الأطفال وأبدو لست مرتاحة غالباً لهم، لكنني كأي إنسان لم يكن بمقدوري أن اقفز على مرحلة الطفولة، وتراني عندما أتحدث مع الأطفال الذين دائماً يبدون كأذكياء في تعاملهم أبدو وكأنني في عمرهم وبمستوى وعيهم نفسه، لكن هل هم جميعاً بالذكاء نفسه وهل يحملون الوعي نفسه ؟

بالطبع أنا متوقعة أن أسمع مثل هذا الكلام، وقد يرضي الكتاب الأزواج الذين بدون أطفال لأنه يتوافق مع قرارهم ويتفادى الخطر الذي سببه بطل روايتي، لكن قد يجده الآباء الآخرون هجوماً تمويهياً على تجربتهم، حدثتني أم لطفلين بامتنان كوني منحت صوتي إلى جانب من يري شيئاً سلبياً في الأمومة ووصفت كتابي بالصادق جداً، قالت بأنني أشرت إلى السأم الذي غالباً ما يشعر به الآباء من دون أن يتحدثوا عنه.

= حسنا ماذا بشأن الإرادة المتوازنة لأنها تبدو رائعة لجميع الناس فيما

ركز كتابك على اليأس والقلق المشوب بالذنب عند الآباء؟

– أحسّ بأن بعض أصدقائي الذين عندهم أطفال لا يخفون مسرتهم وبشكل واضح بتجربة الأبوة، هم يحاولون إقناع أنفسهم بسعادة أن يكون لهم أطفال ويقتنعون بالتضحيات من أجلهم لأنهم جديرون بها وأنهم أحبوا أطفالهم، إلا أن هناك أشياء كثيرة مجوفة في هذا العالم ولهذا ذكرت مثال الأم لطفلين التي أعطت صوتها للرواية، في النهاية الأبوة جاءت بشكل طبيعي للناس وما علينا إلا أن ندرس جوانبها عبر هذا التغيير السكاني الهائل، ولا نجعل من الأطفال صفقة... هناك العديد من النساء في الولايات المتحدة يمتلكن طفلين على الأغلب والأقل منهن أنجبن طفلاً واحداً وأنا أدرك بان 25 في المئة من النساء الأميركيات لا يخططن لإنجاب أولاد.

أما أمر تبني أطفال صينيين فهو لا يدعو إلى التساؤل فقط بل إلى الضحك أيضاً لأنه يشبه من ينجب طفلا ثم يدفنه في الفناء الخلفي للمنزل، كما ينتابني الارتياب من النساء اللواتي تجاوزن الأربعين ويدفعن آلاف الدولارات من أجل الحمل.

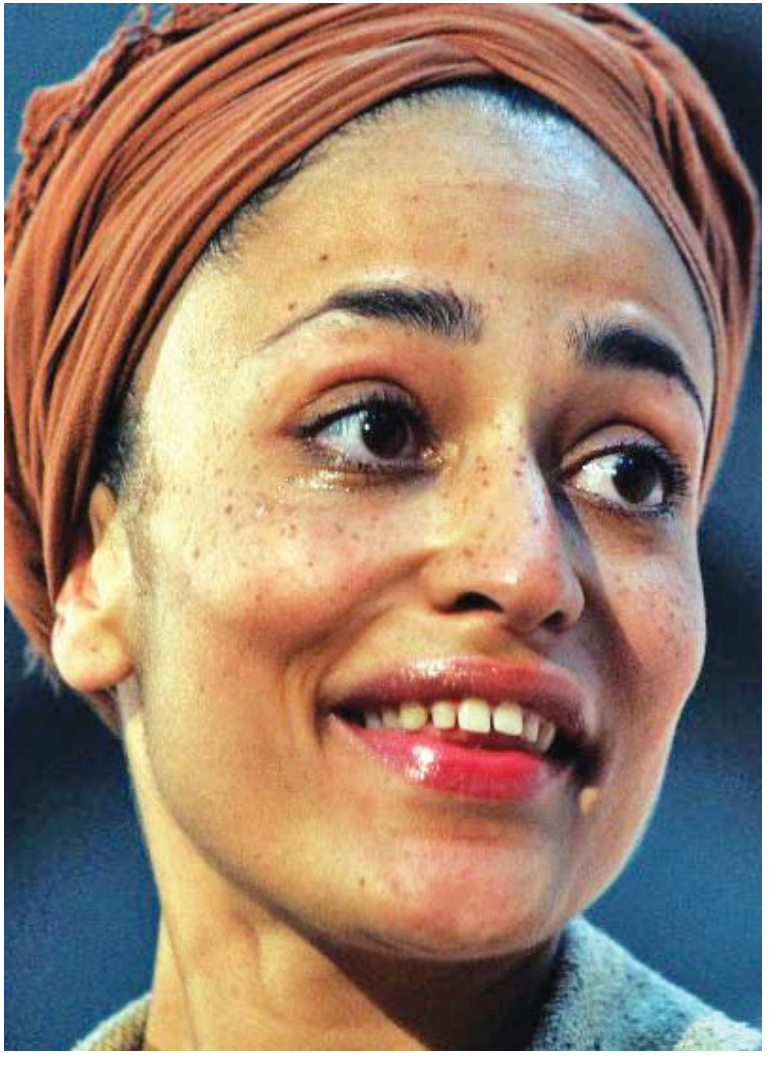

زادي سميث أكتشفت صوتها في الكلمات

انهارت دموع المرأة الخلاسية زادي سميث في رواق "الرويال كورتس أوف جستيس" المدجج بالفخامة اللندنية بعد إعلان فوزها بجائزة "اورانج" عن روايتها "On Beauty" التي يمكن ترجمتها إلى حد ما "عن الجمال"، بدت مبهورة بالجائزة التي تمنحها شركة أورانج للهاتف النقال للكاتبات بالإنكليزية سنوياً وتبلغ قيمتها "30 ألف جنية أسترليني".

احتدم التنافس هذه المرة بين المرشحات الإنكليزيات إلي سميث، زادي سميث، ساره ووترز. كما ضمت القائمة الاسترالية كاري تيفاني، والأميركية نيكول كرواس عن رواية "تاريخ الحب"، وهيلاري مانتيل عن "ما بعد السواد".

لكن السيناريو السابق لم يتكرر عندما فازت الأميركية ليونيل شريفر عن روايتها المثيرة للجدل "نحتاج للحديث بشأن كيفين" بل عادت الجائزة إلى الأرض البريطانية لكنها ممزوجة هذه المرة بمسحة جامايكية!

وقالت المذيعة في هيئة الإذاعة البريطانية مارثا كينري رئيسة لجنة التحكيم "إننا محظوظون جداً لأن بعض أفضل مؤلفينا أنتجوا كتبا ممتازة خلال هذا العام"، مشيرة إلى أن ذلك يجعل من الصعب حذف روايات تحظى بإلاعجاب من اللائحة.

وأضافت "نحن سعداء لأن لدينا أعمالا أدبية من أميركا واستراليا من ضمنها كتب لم يطلع عليها الكثير من القراء".

الكثيرون توقعوا الفوز للكاتبة البريطانية التي تمزج الدم الإنكليزي بالجامايكي، كذلك رجحت كفة روايتها بعد مناقشات بين عضوات لجنة التحكيم استمرت زهاء الثلاث ساعات ونصف الساعة.

فبالإضافة إلى مارثا كينري المحررة السياسية ضمت اللجنة الممثلة الكوميدية جيني إيكلير والكاتبتين جاكلين ويلسون وإنديا نايت.

وقالت سميث في الحفل، حيث غلبتها الدموع وغشتها حالة من التأثر الشديد بعد إعلان النتيجة وتسلمها الجائزة "أنا مذهولة... مذهولة جداً والسبب الرئيسي في هذا أنني قرأت كل شيء في الكتب المرشحة للتنافس النهائي، وأدركت ما تحمله من قيّم... لكل كاتبة جانب في أسلوبها كم تمنيت الإحاطة به".

هذه الراوية "عن الجمال" التي ستحظى بالاهتمام والشهرة والمال ليس من مبلغ الجائزة بل مما سيدر عليها من الطبعات اللاحقة تتناول سيرة عائلة لا أسرار لها، يتحدثون عن كل شيء بمناسبة أو من دونها، فعائلة "كيب مونتي" المسيحي المحافظ والمتصلب في عالم متغير يحيط به، تبدو زوجته كارلين غير واضحة إلى حد ما، الأمر يدفع إلى التساؤل كيف ارتبطا معاً، أو هل حقاً أنهم متزوجون؟ الإبن مايكل نسخة من أبيه والبنت فكتوريا صورة لاعتقاد سائد بين الآباء أن البنت قريبة من الأم دائماً.

أم جامايكية وأب انكليزي

ولدت زادي سميث في السابع والعشرين من تشرين الأول (أكتوبر) عام 1975 في شمال غرب لندن لأم جامايكية وأب إنكليزي، تطلقا عندما كانت صبية مراهقة، وخلال دراستها في "كينغز كوليدج" بجامعة كمبريدج التقت زوجها الكاتب نك ليرد، ولما نشرت روايتها "أسنان بيض" في عام 2000 حازت على جائزة "ويتبريد" كأفضل رواية وكذلك جائزة الكومنولث للرواية.

لا تنفي سميث أنها استلهمت الكثير من علاقة أمها بأبيها في متن روايتها، لكنها في الوقت نفسه كانت تنشد لإجابات من تسألهم لتنمي بنك

لغتها والأكثر من ذلك كما تقول "الكتب... وتكررها ثلاث مرات الكتب... الكتب... الكتب".

تبدو سيرة زادي سميث التي لا توغل عميقاً في الزمن محملة بأسئلة لا تقود امرأة مثلها إلا لطريق الكتابة.

في بداية وعيها غيّرت اسمها من "سادي" إلى "زادي" ويبدو الفرق كبيراً باللغة بالإنكليزية طبقاً لإحساسها بأنها يجب أن تبدو أكثر غرابة، فإسمها الأول أنثوي أكثر مما ينبغي ويعني رحمة أو أميرة.

في دراستها الثانوية كانت ترتدي ما يجعلها مختلفة تماماً عن الأخريات مثل فردة حذاء حمراء وأخرى بيضاء في وقت واحد! فيما وجدت في الأدب طريقاً لتفادي الكراهية في المدرسة خصوصاً، صرفت الكثير من الوقت في القراءة وهيأت غرفتها لأجواء متسقة مع حدس الكتب وآمالها وأحزانها وتوقها لكتابة ما يشبه ذلك، لم تتخلص من هذا التوق حتى عندما تسلمت الجائزة.

ثمة موهبة بدأت مع نضجها عندما اهتمت بنقد موسيقى الجاز، لكن على ما يبدو أنها أخيراً اكتشفت صوتها من خلال الكتابة، تغني بقلمها!

لم يخف اهتمامها بالموسيقى فهي حالياً تشارك زوجها الكاتب "نك ليرد" في كتابة مسرحية موسيقية عن حياة فرانز كافكا.

بلا شك كانت زادي سميث فتاة ذكية وتواقة للمعرفة الأمر الذي مهد لها القبول بجامعة كمبريدج من بين الأرقى في الجامعات على مستوى العالم، حيث درست الأدب الإنكليزي، للحصول على الدرجة الجامعية يعني عند سميث أن تكون عضواً مفيداً في العالم الحديث وتحاول أن تكسب معيشتك مما تعلمته، أيام الجامعة كتب قصتين قصيرتين في الوقت نفسه الذي

بدأت بكتابة روايتها "أسنان بيض" وكسبت فيها إهتمام الناشرين ونالت عليها جائزتين، ثم رواية "أوتوغراف مان" عام 2002 التي نالت عنها جائزة الجمعية اليهودية، وأختيرت بعد عام من ذلك من بين أفضل عشرين روائياً بريطانياً شاباً. وباعت حقوق روايتها الثالثة "عن الجمال" للسينما قبل حصولها على جائزة أورانج، ومن المؤمل أن تصور في فيلم خصصت له ميزانية تقدر بعشرين مليون دولار.

أوراق بيض

في هذا الحوار الذي أجري مع زادي سميث قبل وقت من نيلها جائزة أورانج النسائية، يمكن للقارئ أن يكتشف ما معنى أن تنال كاتبة شهرة في مطلع حياتها ولم تنتج بعد سوى عدد محدود من الكتب.

= هل نهاية الرواية تبدأ عندك منذ مطلعها، بمعنى هل تعرفين نهاية السفر مع شخوص نصك قبل الانطلاق؟

- نعم، أحتاج لمعرفة نهاية الرواية قبل أن أبدأ بكتابتها، في الوقت الذي أبدأ فيه بالكتابة، أكون قد أخترعت شخوص قصتي، أفكر كثيراً باللغة ويجب علىّ أن أعرف مسبقاً الجملة التي تلي جملتي الأولى على الأقل.

كل قصة تأخذ من التخيل مابين سنة وثمانية عشر شهراً، تبدأ غالباً بالشخوص وكيف على الكاتب أن يحركهم ويخضعهم لسطوته بود من دون قسر كي لا يهربوا منه.

= هل يمكن أن نتحدث عن ولادة رواية "الأسنان البيض" وهل التحاقك بالجامعة كان من أجل الكتابة، ثم متى شعرتي بأنك كاتبة حقاً؟

-الرواية بدأت بقصة قصيرة ثم توسعت، كان الحدث كافياً لأن يصبح

رواية، قصصي القصيرة لا تتجاوز عشرين صفحة دائماً، طول القصة القصيرة مهم، هو يذّكر بعمل النحات إمّا أن تعمل أنموذجاً مصغراً أو أن تتوقف عن المحاولة، وفي "الأسنان البيض" كنت قد دخلت إلى أرض الرواية وأنا أكتب قصة قصيرة عندما وصلت إلى ثمانين صفحة، وكان تشجيع بعض الأصدقاء قد دفعني للاستمرار ثم دخولي الجامعة لدراسة الأدب الإنكليزي الذي ساعدني كثيراً. كان يتملكني الرعب من الكتاب المبدعين، وكنت مأخوذة بإعتقاد أن الكتابة النظرية المنضبطة أشبه بعلاج.

لكنني فضلت التدريب الحقيقي الذي يمكن أن يجعلك قريباً جداً من القراء، صرفت ثلاث سنوات في الكلية وكتبت ثلاثة قصص ورابعة لم أكملها، لكنّي قرأت كل شيء يمكن أن يقع في يدي، "الأسنان البيض" نتاج ذلك الوقت، أيام القراءة والدراسة الجامعية، لذلك تكاد تكون مثلاً نقياً عن تعلم الخيال المنضبط، عموماً حصولي على الدرجة الجامعية بالأدب الإنكليزي منحني إحساساً بجدوى أن تكون حياً وذا قيمة، لم أكتب القصص في طفولتي، وفي عمر خمسة إلى خمسة عشر عاماً، أردت حقاً أن أكون ممثلة سينمائية أو عازفة في فرقة جاز. لكن الأمر بدى لاحقا أشبة بمستحيل إذ أن مسار حياتي تحول إلى الكتابة.

= من أول شخص قرأ الرواية؟

- أجواء جامعة كامبردج تجعل إنساناً مثلي محظوظاً بما فيه الكفاية لأنني كنت محاطة بنحو خمسمائة إنسان مهتم بالكتابة، لذا ليس من الصعب الحصول على تعليقات، ونقد بنّاء آنذاك. كنت أحب أن أحرّر النص بذكاء، وكان لديّ خمسة أصدقاء من الضروري الاستماع إلى ملاحظاتهم والأخذ بها.

لم تكن لديّ جداول محددة في الكتابة مع أني كنت أفضل أوقات العصر وعليّ أن أعترف الآن بأنني خاملة في جدولة أوقاتي، لذلك غالباً ما تتأخر الفكرة في ذهني وأكون محظوظة عندما أعمل ساعتين منتجتين، ثمة شيء مزعج في سلوك بعض الكتاب الذين يستيقظون في الرابعة صباحاً ويظلون يدورون حول أنفسهم بعد ذلك يحتسون ثلاثة ألتار من القهوة الداكنة ثم يكتبون ما يعادل ثلاثة آلاف كلمة في اليوم، أو ذاك الكاتب الذي يبقي متسكعا طوال الوقت من أجل الظفر بفكرة يكتبها بنصف ساعة، إنها طقوس لا تمثل لي أي شيء سوى البلاهة.

= ثمة عمق تاريخي في متن رواية "الأسنان البيض" كيف تسنى لك الحصول على كل تلك المعلومات التاريخية؟

- بنفس طريقة البحث عن نسب غامض، اللجوء إلى المكتبات العامة وشبكة الانترنت ومشاهدة الأفلام الوثائقية ومن حين إلى آخر العودة إلى أحاديث الأشخاص، لكن في الغالب قراءة الكتب ثم الكتب ثم الكتب بقدر تعلق الأمر بي. مثلا عندما تود معرفة تفاصيل اليوم الأخير من الحرب العالمية الثانية أو جذور التمرد الهندي يجدر بك أن تقابل من بقي حياً وعاصر تلك الأحداث لإخبارك عما بقي معلقاً في ذاكرته.

لي صديق جدتة ولدت عام 1902، عجوز يهودية ذكية، تمتلك خزيناً هائلاً من الكلام عما مضى سألتها عن الحرب العالمية فزودتني بمعلمات نابضة بالحيوية.

= هل هناك أصداء عائلية في رواياتك؟

- لي شقيقان عمراهما 22 و 16 عاماً ما زلت أتذكر كيف كنا نلعب معاً لعبة "الهيب هوب" ولي أخت وأخ غير شقيقين في منتصف الأربعينات من

عمرهما، لكنني قريبة من أشقائي الصغار فالعائلة تشكل أشياء كثيرة من حياتي، ربما هي كل شيء، لذلك لا يبدو أي شيء يمت لهم بصلة مباشرة في رواية "الأسنان البيض"، عائلتي هادئة وسعيدة أكثر بكثير من أجواء رواياتي.

كاثي ريتشس: أبطال رواياتي يصفون أشياء رأيتها وشممت رائحتها

تبدو كاثي ريتشس للمحيطين بها والمتابعين عالمة أنثروبولوجيا من طراز نادر، فهي واحدة من خمسين عالم أنثروبولوجيا أعضاء في المجلس الأميركي للأنثروبولوجيا والطب الشرعي، إلا انها لعامة الأميركيين كاتبة روائية مشوقة، استثمرت تخصصها النادر في كتابة نص أدبي لامع، كما حدث مع روايتها "الأسرار الخطيرة" التي تصدرت قائمة مبيعات الرواية في الأشهر الثلاثة الأولى من صدورها، ولحقتها بمجموعة من الروايات كانت موضع اهتمام النقد كونها تتناول ما لم يجرؤ غيرها من الروائيين على تناوله، للصعوبة المحفوفة بالمخاطر في الكتابة عن نص يمس الأنثروبولوجيا.

فقد صدرت لها مجموعة من الروايات تكاد لا تبتعد عن هذا الموضوع، كما في اختيارها للعناوين "العظام المتقاطعة" "العظام لا تستريح" "حداد يوم الاثنين" "موت ديجا" "الرحلة البحرية القاتلة" "القرارات القاتلة" "الأسرار الخطيرة".

وكاثي التي تمارس اختصاصها في ولاية كارولانيا هي أيضاً عضو في مجلس ادارة الأكاديمية الأميركية للعلوم الشرعية وأستاذة في جامعة شمال كارولينا، تقسّم وقتها بين التدريس وكخبيرة زائرة على المحاكم الجنائية، سافرت كاثي ريبتشس إلى راوندا لتكون أحد شهود المحكمة الدولية التابعة للأمم المتحدة على مجازر القتل الجماعي التي ارتكبت هناك، كما ساعدت في التعرف على الأفراد في المقابر الجماعية في غواتيمالا.

أفادت كثيراً من عملها مع خبراء الأنثروبولوجيا الشرعية المتخصصين بالحرب العالمية الثانية، سواء في عملها أم كتابتها للنص القصصي، حيث تسنى لها الوقوف على بقايا جثث الجنود المجهولين لمعرفة هوياتهم.

وفي روايتها "الأسرار الخطيرة" منحت بطلها حرية التحرك في حياته ومماته وأعطت القارئ فرصة لاكتشاف الأسرار الفادحة.

عن هذه الرواية الصادرة عن دار سكريبنر كان هذا الحوار لاطلاع القارئ على مواصفات المهنة الفريدة للأنثروبولوجيا الشرعية وضحايا التجارب العاطفية لكاتبة تمزج تجاربها الشخصية مع تخصصها النادر.

كشف الأسرار الفادحة

= بطلة روايتك متخصصة في الأنثروبولوجيا، وهو علم دقيق لم يتسن للقراء بعد معرفة وظائفه، أو التمييز بين الطب الشرعي وعلم الأنثروبولوجيا، أيضاً لم تقدم روايتك ما يكفي من الشرح عن دور هذا العالم في التحقيق من موقع الجريمة؟

ـ في السلطات التي أعمل فيها، يسأل عالم الأنثروبولوجيا بناء على طلب الطبيب الشرعي عادة، بسبب تحلل الجثة نتيجة احتراق أو تحنيط أو تشويه، أي تحولها إلى هيكل ولا يمكن التعرف عليها إلا بوسائل أخرى غير المعاينة البصرية وأخذ البصمات.

أيضاً يستنجد بعلماء الأنثروبولوجيا عند حدوث تهشم كبير في العظام وإن كانت الجثة لم يمض عليها وقت طويل، لتقديم الرأي في سبب الإصابة، التي قد تكون نتيجة إطلاق نار أو الضرب بأداة حادة وما إلى ذلك من أشكال الصدمات الأخرى.

وبطلة روايتي عالمة أنثروبولوجيا يطلب منها اختيار علامات القطع في عظمة ضحية لتحديد نوع الأداة التي استخدمت في القتل، هذا الأمر يمنح الرواية حرية التحرك في أجواء مترابطة تمر عبر علم الأحياء الهيكلي والتنقيب الآثاري، بالمناسبة كثير منا يتدرب على علم التنقيب الآثاري وهكذا تمنح هذه الرواية فرصة فريدة للقارئ ليكون فاحصاً لمشاهد الجريمة عبر هيكل عظمي لضحية تعرضت للقتل من وقت بعيد.

= الأسرار الفادحة في هذه الرواية جاءت من خبرتك الفعلية عندما كنت جزءا من الفريق الدولي الذي توجه إلى غواتيمالا، فهل انتابك إحساس بالتردد في كتابة هذه الأحداث خوفاً على حياتك؟

ـ عملت في غواتيمالا في حقل الانثروبولوجيا الشرعية مع أفراد مخلصين بشغف لحقوق الإنسان، ومنذ ذلك الوقت، وفريق العمل يتلقى التهديدات حتى ضد افراد اسرهم، الأمر الذي دفع بعضهم الى مغادرة غواتيمالا، وقد قتل في مقهى بإحدى ضواحي العاصمة أحد أعضاء جماعة ناشطة في مجال حقوق الإنسان سبق لها أن نالت جائزة نوبل للسلام.

= بطلة روايتك توصلت مع زملائها إلى نتيجة مفادها أن بعض المتورطين في ارتكاب البشاعات ما زالوا يتقلدون مناصب في الدولة، فهل توصلت إلى النتيجة نفسها أثناء عملك في غواتيمالا، وكيف سمحوا لفريق العمل بمعاينة موقع الجرائم؟

ـ يزعم المسؤولون هناك أنهم لا يعرفون مصادر التهديدات التي نالت زملائي كونهم يحاولون الكشف عن المتورطين عبر فحص الجثث، بينما تشك جماعات حقوق الإنسان بالأمر عندما تقول إن عسكريين وضباط مخابرات اشتركوا في ارتكاب البشاعات التي حدثت أثناء الحرب الأهلية، وقد تعهد رئيس الدولة بمقاضاة المسؤولين عن تلك التهديدات لو توفرت لهم الموارد الكافية، وتشك منظمات حقوق الإنسان في ذلك في خضم المشاكل المتفاقمة التي تعانيها السلطات، كذلك أبدى مدير قسم الأميركيتين لحماية حقوق الإنسان تشاؤمه في التحقيق في جرائم التهديدات.

= ثمة تفاصيل مرعبة في نصك الروائي عن القتل واستعادة أشلاء بشرية من أحواض نفايات، هل تسنت لك معاينة مثل هذه الأمور في الواقع الفعلي أثناء عملك؟

ـ نمت فكرة أحواض النفايات عندي من تجربتين، الأولى عندما اشتركت بالتحقيق في مقتل رجل في إقليم كويبيك رميت جثته في حوض نفايات، وكلفت بمهمة إكتشاف نوع المعدات التي ستستخدم في مجريات التحقيق، وفي هذه التجربة تعلمت أكثر من أي وقت سابق تفاصيل عن وحدات الصرف العفنة، والثانية هي فحصي لعظام امرأة قتلت أثناء زيارتها إلى بيليز كسائحة، حيث بقيت هنا لأسبوعين، إلا أنها فقدت بعد ذلك، وعثر على هيكلها العظمي بعد تسع سنوات في حوض النفايات خلف الفندق الذي كانت تقطنه في بيليز، لقد قضيت مع هذا الهيكل العظمي ساعات طويلة للتعرف على عظام الضحية وتحليل نوع الصدمة.

روائية أم عالمة؟

= هل كتابة روايتك بصيغة المتكلم تأتت من تجربتك في غواتيمالا، إذ يصعب فصل الروائية فيك عن العالمة، وهل كنت تطمحين لكتابة تقرير جنائي بعيداً عن أدوات الرواية وشروطها؟

ـ أثناء عملي كأستاذة في جامعة شمال كارولينا، قضيت سنوات أحرر المقالات العلمية وأصدر الكتب المنهجية، وعندما جربت الكتابة الخيالية تعاملت مع صوت ضمير الغائب من دون أن يطاوعني، عندها تحولت إلى صيغة الضمير المتكلم وكتبت الرواية على لسان البطلة تيمب، وكل شيء بدأ بالضغط، ضمير المتكلم رافقني في كل رواياتي كاشفاً عن تلك الأسرار الفادحة، فالبطلة تيمب تصف الأشياء نفسها التي رأيتها وسمعتها وشممت رائحتها وجربتها في غواتيمالا، لقد قاسمتني العواطف التي شعرت بها.

= كشفت روايتك عن فظائع فادحة تمس الناس في غواتيمالا، أما زال

هؤلاء يعانون تلك المصاعب؟

ـ غواتيمالا بلد مدهش في جماله، وساخن، الناس فيه يعملون بصرامة، لكن لسوء الحظ تتفاقم على أرضه المشاكل كأي بلد من العالم الثالث، فما زال هناك كثير من الفقر يعم مدنه، كما أن الكبت المتجدد لا يشجع الناس ولا يمنحهم الأمل.

= تعطي بطلة روايتك تيمب زوجها ريان محاضرة في الاستفادة من خلية الساق لاكتشاف الحقائق، إلا أنه رفض ذلك، فهل تعمدت أن تظهري الأميركي دائماً في موقع الرافض لمثل هذه التجارب؟

ـ أعتقد أن البحث التجريبي في خلايا الساق يحمل وعداً لاكتشاف حقائق عظيمة عن الإنسان وتبديد معاناته الطبية خصوصاً، كذلك ركزت بأن أكشف في متن الرواية تفاصيل كثيرة عن ذلك، على أقل تقدير، للتحفيز بتواصل البحوث.

حوار جذاب

= بدا الحوار بين تيمب وزوجها ريان جذاباً جداً عندما انضم إلى تيمب المخبر للتحقيق في جريمة القتل، ومنح القارئ مسحة عاطفية عن حياة هذه المرأة المعقدة بالفعل، هل كانت بارعة في اختيار الرجال في الأماكن بين الصح والخطأ؟

ـ تيمب متزوجة ريان منذ وقت طويل، لكنها اعترفت بشكل متأخر أمام نفسها أن الزواج فكرة سخيفة وعليها ان تقفز إلى علاقة جديدة، مع أن الجنس لم يكن في مقدمة أفكارها، إلا أنه يندفع إلى رأسها من وقت إلى آخر.

= أنت عالمة أثنروبولوجيا لمكتب الأطباء الشرعيين في شمالي كارولاينا الأميركية وفي الوقت نفسه مديرة دائرة الأنثروبولوجيا الشرعية لإقليم كويبيك الكندي، كيف تسنى لك الجمع بين الاثنين؟

ـ ذهبت إلى كويبيك أولاً كجزء من اتفاق مع الجامعة التي أعمل فيها، وكان هذا البرنامج يستمر مدة عام كأستاذة زائرة، إلا أنهم في الإقليم الكندي توصلوا معي إلى اتفاق أن أقوم بتلك المهمة حيث مضى عليّ أربعة عشر عاماً حتى الآن.

= تتناول كل رواياتك تفاصيل جرائم مصاغة بعناية فائقة، فهل تكتبين عن وقائع حقيقية في لغة أدبية؟

ـ نعم أنهل قصصي من وقائع عشتها أو أشرفت على التحقيق فيها، إلا أنني بالضرورة أغيّر أشياء في التفاصيل والأسماء والأماكن والتواريخ، ويمكن أن تتعرف على ذلك في مشاهد تلك الطائفة التي قتلت امرأة منذ عام 1714 لتقدس عظامها، أيضاً في ضحايا عصابة الدراجات النارية وهي عصابة مشهورة في إقليم كويبيك. ومن سخرية القدر أيضاً إشتراكي في فحص بقايا ضحايا تدمير مركز التجارة العالمي في نيويورك.

= أي المهمات التي واجهت فيها تحدياً كبيراً في عملك كعالمة أنثروبولوجيا؟

ـ كان العمل بين ركام مركز التجارة العالمي أصعب شيء مر على حياتي، كانت المهمة مؤذية جسدياً، إلا أن الدافع العاطفي كان المحرض.

= هل سترفضين التحقيق في واقعة ما بسبب أخطار محتملة قد تلحق الضرر بك؟

ـ من الممكن أن يحدث هذا، لكن حتى الآن لم أواجه تلك المعضلة.

= بين التدريس الجامعي في الولايات المتحدة وكندا، والمهمات الطارئة مثل سفرك الى غواتيمالا، كيف توفرين الوقت للكتابة الروائية؟

ـ في اليوم الذي لا أذهب فيه للعمل، أستثمره كاملاً للكتابة، من دون أن أفرط بأي وقت، أيضاً لست مرتبطة بجدول تدريسي منتظم طوال العام.

= رواياتك مفعمة بالتفاصيل التصويرية، لكنها متعلقة بالتحقيق الروائي مما يجهد القراء في التعامل معها، فهل انتابك شيء من التردد لتضمين تلك الأوصاف المريعة؟

ـ أعتقد أن رواياتي تناشد القراء المتشوقين للبحث في تفاصيل عملية وكأنهم في موقع الجريمة أو في مختبر تحليلي أو معمل تمارين جدلية، لذلك أتعمد التفصيل الدقيق لأنه من الضرورة بمكان تصوير الموقف بشكل عملي، وأحذر من يريد أن يلحق بي ضرراً في تفسير الأوصاف البشعة للجرائم، بأنها نوع من الإشارة، وأنا لا أنحو إلى ذلك مطلقاً.

= انتابت الروائيين مشاعر متناقضة حيال تحويل كتبهم إلى أفلام سينمائية أو حتى تلفازية، كيف ستشعرين أنت، وهل اقتربت من نسخة هوليوود؟

ـ أعتقد أنني سأشعر بمتعة لا تضاهى عندما أرى بطلة روايتي تيمب في السينما أو حتى على الشاشة الصغيرة، ولديّ عروض عديدة في ذلك إلا أنني ما زلت أنتظر الافضل.

جي لي يانج تؤرخ لسيرة الصين في سيرتها

يكاد يختصر ديفيد هنري كوانغ الأميركي من أصول صينية، ثيمة هذه الرواية- السيرة الذاتية، في مقدمة مفعمة بالتساؤل من دون أن تفقد الأمل!

فقد أخبرته جدته في طفولته عن عم له عاش في الصين آبان الثورة الثقافية، وكان قد وعد اقاربه في الولايات المتحدة أن يبعث لهم صورة فوتوغرافية له ولعائلته، قائلا إن سيكون واقفاً في الصورة إن كانت الأحوال العامة جيدة، وإن كانت عكس ذلك فسيرونه جالسا، لكنه كان مستلقياً على الأرض في الصورة التي وصلتهم منه!.

تلك المفارقة المريعة تكاد تنعكس على ثيمة متن هذا الكتاب الذي يؤرخ لسيرة فتاة صينية أثناء الثورة الثقافية نهاية الستينات من القرن الماضي من دون أن يتخلى عن أدوات الرواية، إنها سيرة ذاتية بمواصفات رواية!

ومن حس حظ الكاتبة "جي لي يانج" أن مترجم عملها "فتاة الوشاح الأحمر" إلى العربية كان ليبياً فثمة تقارب في الفوضى التي سببتها الثورة الثقافية الصينية وما عاشه الليبيون آبان فترة الزحف الأخضر!

المترجم فرج الترهوني يكاد يتحسس أكثر من غيره الصورة التي يترجمها وكأنه متواجد في طرقات شنغهاي.

رواية "فتاة الوشاح الأحمر" كتبت بالإنكليزية عن الفتاة "جي لي يانج" التي كانت عام 1966 في الثامنة عشرة من عمرها وطالبة متميزة، ولديها كل ما تصبو إليه: الذكاء والمقدرة وإعجاب أقرانها ومستقبل باهر في صين الزعيم ماو الجديدة، لكن هذا الوضع تغير مع بدأ الثورة الثقافية حين صار الذكاء جريمة، وحين أمسى الرفاه المادي لعائلة ما في السابق، مدعاة للاضطهاد وسلب الكرامة والمراقبة وكيل التهم الملفقة ومصادرة اثاث البيت.

كذلك اهينت جي لي يانج وعائلتها طوال السنين الثلاث التي تسرد الرواية وقائعها بلغة مبسطة وكأنها شاهدة أكثر مما تمارس دور الإيحاء واللعب على مديات اللغة.

عاشت عائلة الفتاة في ظل خوف دائم وتخلى أصاحبهم وجيرانهم وزملائهم عنم لمجرد ان فلسفة الزعيم ماو الثقافية تصادر كل ما له علاقة بالقديمات الأربع ومحاسبة الأشخاص على ثراء آبائهم وتصنيف العوائل حسب وضعها الطبقي إلى سوداء عندما تتمتع بشيء من الرخاء أو كانت كذلك، وفتح الباب أمام الطبقات الهامشية والفقراء للاستحواذ على ممتلكاتها الشخصية!

إنه أمر يدعو إلى الحيرة عندما تخشى أسرة من السلطات لمجرد أن في منزلها خزانة أو كرسي من الخشب الثمين أو لديهم مدبرة منزل ويعد مجرد وجودها معاديا للثورة، أو يحاسب رجل يرتدي بنطال ليس حسب المواصفات التي حددها الزعيم ماو ويهان ويمزق بنطاله في الشارع أمام المارة ويتهم بالعمالة للغرب "كم سنجد ما يشبه مثل هذه الحالات حدثت في المجتمعات العربية، فهل تأثر الزعماء العرب بثورة ماو الثقافية؟".

تسرد الكاتبة شهادتها عن هجوم مجموعات الحرس الأحمر على رجل في الشارع أرتدى بنطالاً ضيقاً في نهايته فيحاكم أمام كل المارة ويهان بطريقة مذلة ويتم قياس عرض البنطال بواسطة قنينة للتأكد أن عرضه من الأسفل أقل مما يدعو له الزعيم! حتى أنهم يقابلون إحتجاجه بأنه اشترى البنطال من السوق الحكومي بالسخرية، فحتى الأسواق الحكومية فيها بضاعة تتعارض مع توجيهات الزعيم الذي يريد أن يجعل كل الصينيين على قدم المساواة!

يمزق بنطال الرجل من الأسفل ويتحمل الإهانة صامتاً فيما تتناقض ردود فعل المتجمهرين في الشارع بين شامت وساخط يخفي دموع الألم والخوف.

الإذلال الثوري

كيف نتصور درجات المذلة عندما تقوم مجموعات الحرس الأحمر بإرغام عجوز على تنظيف الشارع المجاور لبيتها لمجرد أنها ولدت في عائلة ثرية، أو مصادرة كتب قصص الأطفال لأنها مترجمة من قصص خيالية غربية... مثل هذه الفوضى تعم المجتمع الصيني وتمارس الكاتبة هنا دور المؤرخة لفترة قاسية وكيف ينعكس ذلك على مزاج التلاميذ ويدفعهم إلى التنابز بالألقاب "أنت من عائلة سوداء برجوازية وأنا من عائلة حمراء شيوعية".

تمنع "جي لي يانج" من الدخول إلى فرقة الرقص رغم مواصفاتها المتميزة وذكائها لمجرد أن تاريخ عائلتها لا يتوافق مع التصنيفات التي حددها الزعيم ماو، ومن هنا تتدفق أحداث الرواية- السيرة بسلاسة وهدوء رغم الوجع والخيبة والمذلة الذي يسكن متنها.

تعرض لسيرة الأب الممثل المسرحي عندما يعتقل ويعذب لمجرد أنه ابن مالك أراضي سابق كان يستغل الفلاحين واتهامه بالاستماع إلى إذاعات أجنبية من دون أن يفعل ذلك حقاً، ومن ثم تفاقم القلق والخوف من أي شيء يرتبط بالماضي من الملابس والأثاث وصولا إلى الفكرة الافتراضية لأفكار الإنسان "كيف يمكنهم تخمين ما أفكر به... يا للحيرة؟".

مع كل ذلك تبقى الكاتبة البطلة جي لي يانج ملخصة لوطنيتها ومحبة

للزعيم ماو، حتى أن الأفكار تراودها للتخلص من اسم عائلتها البرجوازي، وكل هذا ليس معادلاً للانتهازية التي تكشف عنها بعض شخصيات الرواية، مثل الفتاة التي تبرأت من عائلتها حباً بأفكار الزعيم ماو.

جي لي يانج تعيش التناقض بأقسى صورة فهي تعرف عائلتها المخلصة لقيمها الإنسانية وليس لديها أي تصرف يتعارض مع مصلحة الوطن، في الوقت الذي ترفض الاعتراف الكاذب على والدها فتواجه الإذلال والمهانة.

تجيب جي لي يانج في نهاية الرواية ببساطة على سؤال عن أسباب عدم كرهها للزعيم ماو أو للثورة الثقافية آنذاك بعد كل ما عانته، بالقول "كانت ادمغتنا مغسولة".

وهي إجابة تتفق مع طبيعة حياتها الجديدة في الولايات المتحدة حيث عاشت الحرية بمواصفات الحلم الأميركي، وما مضى بالنسبة لها صورة عائمة زاد من غموضها الإعلام الغربي.

تقول عن ذلك "بالنسبة لنا كان الزعيم ماو عبارة عن إله، فهو يسيطر على كل ما نقرأه وكل ما نسمع، وكل ما نتعلم في المدرسة، ومن ثم كنا نصدق كل ما يقول".

بطبيعة الحال لم يصل ليانج إلا كل ماهو مضيء عن الزعيم وعن الثورة الثقافية، وما غير ذلك كان خطأ الآخرين، أما ماو فلا لوم عليه.

كذلك تؤكد هذا الكلام عبر سؤال إحدى شخصيات الرواية الحقيقية وهي سيدة أجبرت على تسلق مدخنة المصنع الذي تعمل فيه وأهينت لأسباب باهته لا تتوافق مع مبادئ الثورة الثقافية، بالقول إنها لا تكره الزعيم ماو رغم تعرضها للظلم! تؤكد هذه المرأة بقولها "لقد آمنت أن الثورة الثقافية كانت ضرورية لمنع الرجعية والرأسمالية من السيطرة على الصين، كنت

أعرف أنني تعرضت للظلم لكن الأخطاء قد تحصل في أي نظام سياسي، ولو أن البلد تحول إلى الأفضل بفعل المنظومة التي حاكمتني لكنت في صفها، لكن بعد موت الزعيم ماو عرفت أنني خُدعت".

وهكذا لم يفق الصينيون من غفلتهم إلا بعد موت الزعيم ماو عام 1976 حين عرفوا أن الثورة الثقافية برمتها كانت جزءا من صراع على السلطة في الصفوف العليا للحزب الشيوعي.

وترى جي لي يانج أن القائد ماو استغل إخلاص الصينيين وثقتهم به للتلاعب بالبلد بأسره.

لقد مرت ثلاثون عاما منذ أن كانت تلك الفتاة الصغيرة بالوشاح الاحمر، والتي اعتقدت أنها ستحقق النجاح دائما، ثم تقدمت في العمر وانتقلت إلى الولايات المتحدة، لكن مهما فعلت، وحيثما ذهبت، تظل ذكريات طفولتها تثب دائما إلى مخيلتها، كذلك جاء هذا "الكتاب الرواية السيرة".

الرواية أشبه بشهادة يريدها القارئ الغربي "كتبت أصلا باللغة الإنكليزية" ولا يمكن وفق التقويم المفرط بالتفاؤل أن تضع أدواتها على طاولة النقد الأدبي لاختلاط الواقعي والتاريخي باستثناء تغيرات بسيطة في الأسماء أقرت بها الكاتبة في نهاية الكتاب للحفاظ على خصوصية الأشخاص.

فهل جي لي يانج روائية بامتياز؟ لا يمكن الإجابة على هذا السؤال من دون الاطلاع على كتاباتها الأخرى بعد صدور روايتها الأولى "فتاة الوشاح الأحمر" عام 1997.

لم تصدر يانج بعد هذه الرواية سوى ثلاث كتب في أدب الأطفال، حيث تمارس عملها في سياتيل وتزور المدارس للتحدث للتلاميذ عن تجربتا الشخصية وطفولتها.

ماذا عن "بجعات برية"؟

لن يفوت القارئ المتابع للشأن الصيني، وخصوصا في جانبه الأدبي، من أن يجد مساحة العرض المشتركة بين كتاب "فتاة الوشاح الأحمر" وكتاب "بجعات برية" للكاتبة الصينية يونغ تشانغ الذي صدر عام 1991. فتشانغ، مثل يانج، تستعرض رحلة معاناتها الشخصية مع الثورة الثقافية. لكن كتاب "بجعات برية" يغوص عميقا في تاريخ الصين الحديث قبل الوصول إلى مرحلة العبث الثوري الماوي ليقدم قصصا لثلاثة أجيال من النساء: الجدة، والأم، والابنة. الجدة ولدت وعاشت في عصر الإقطاع والاحتلال الياباني، والأم عاصرت الحرب العالمية الثانية وفترة المد الثوري الشيوعي في عزه، والابنة راهنت على الخلاص الشيوعي على يد الزعيم ماو. الجدة بدأت حياتها خليلة لأمير حرب "اشتراها" من أبيها ولم يعترف بما في بطنها إلا وهو على فراش الموت. والأم كانت "خليلة" من نوع ثانٍ لأنها آمنت بالحزب الشيوعي الذي استرقّها باسم الايدولوجيا. والابنة كانت "خليلة" أفكار وشطحات الزعيم ماو الذي حول البلاد إلى حقل تجارب كبير وانتهت في حقول الثورة الثقافية التي شردت الملايين من أبناء الطبقة "الثورية" الوسطى في مزارع الأرز وفي مهمات تكسير وتدمير الإرث الجمعي الصيني.

ولم تنج الابنة إلا بعد مغادرتها الصين واستقرارها في الغرب. إنها صورة سوداوية أخرى رسمتها تشانغ للوحة الشيوعية الحمراء التي أراد ماو أن تكون عليها "صينه" الخاصة.

منْ يقرأ الكتابين لا بد أن يتساءل: هل حدث كل هذا لكل تلك الملايين من الناس ولعقود طويلة لكي تنتهي الصين إلى ما هي عليه الآن من نهم مفرط

للرأسمالية والاحتياطي من الدولار وشراء سندات الخزينة الأميركية؟

قيمة هذا الكتاب الذي وفره مشروع (كلمة) في هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، يمنح القارئ العربي فرصة تصور الأحداث المريعة التي عاشتها الصين آنذاك، وكيف كانت بعض البلدان العربية تتفاخر في استنساخ هذه التجربة.

والطباعة الأنيقة لكتاب "فتاة الوشاح الأحمر" تجسدت كذلك عبر لمسات تصميمة معبرة للغلاف تنم عن براعة فنان بامتياز.

مطابع دار الأديب
عمان - الأردن
هاتف : 4888585 فاكس : 4888584
E-mail: info@label-world.com
info@adibbooks.com
www.adibbooks.com